

تفسير آية النور

مؤلف:

السيد محمد باقر بن السيد مرتضى الطباطبائي

اليزدي الحائري

(١٢٣٩-١٢٩٨ هـ. ق.)

نور
الحق

تعقيق:

علي رضا اصغري



مقدمه تحقیق

مؤلف رساله حاضر سید محمدباقر بن سید مرتضی طباطبائی یزدی حائری است. او از فضلا و علمای قرن سیزدهم به شمار می آید. احوال و آثار این عالم جلیل القدر در جلد پنجم از مجله آفاق نور توسط محقق ارجمند، آقای عباسعلی علیزاده تحقیق شده است.

رساله حاضر

در تفسیر آیه نور می باشد، و نور را مساوق وجود دانسته که مانند وجود دارای درجات مختلف است، به عبارت دیگر کلی مشکک می باشد. در یک تقسیم بندی نور بر دو قسم می باشد: یکی نور علم و عمل، و دیگری نوری که ویژه خداوند متعال است و نور ازلی خوانده می شود. به این مطلب ابن عربی در فتوحات خود اشاره ای دارد، او می گوید:

النور نوران، نور العلم و العمل و نور موجدنا الموصوف بالأزل^۱

روایات در تفسیر آیه نور فراوان است. در اکثر این احادیث نور به محمد و آل محمد تفسیر شده است. مؤلف رساله حاضر به برخی از این احادیث اشاره کرده. مؤلف این رساله مطالب دقیق دیگری را مطرح کرده است که تحلیل، گزارش و بررسی آن مجال دیگری را می طلبد.

این رساله بر اساس نسخه خطی موجود در کتابخانه آیت الله مرعشی به شماره: ۲۱۲۸^۲ تصحیح و تحقیق شده است.

والسلام علی من اتبع الهدی

۱. الفتوحات المکیة، ج ۴، ص ۳۱۲.

۲. در فهرست نسخه های خطی آن کتابخانه، ج ۶، ص ۱۳۹ و یزگیهای نسخه آمده است.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَبِهِ نَسْتَعِينُ [مقدمة في أن أسلوب القرآن خارج عن أسلوب كلام البشر]

﴿اللَّهُ نور السماوات والأرض﴾ الآية، هذه الآية الشريفة من عجائب الآيات وغرائب العبارات، طويت فيها مطالب جليلة بأسلوب غريب وظاهرها من قبيل ضرب الأمثال كما قال - تعالى - في آخرها: ﴿ويضرب الله الأمثال﴾ الآية .

اعلم أن القرآن المجيد وإن كان أسلوبه خارجاً عن أساليب الكلام بحيث لا يشابهه كلام أحد من الفصحاء وغيرهم وكل من تأمل في كلماتها مع ترتيبها وكيفية تركيبها يعلم أن هذا الكلام ليس من كلام البشر وليس فيه كلمة لولا وهي صادرة عن لسان القدرة . وقد تسامح من قال من الأصوليين في مسألة النقل بالمعنى ما يوهم : إن فيه كلمات صادرة عن غير لسان القدرة نقلها الله - تعالى - بالمعنى كما لا يخفى ومثله من قال : إن فيه كلمات غير عربية مثل السجيل والاستبرق فإنهما فارسيان والقسطاس فإنه رومي والمشكاة فإنها هندية .^١ ولجواز توافق اللغتين كالصابون والتثور كذا يستفاد من كلام التفتازاني وبعض المحشيين على المطول .^٢

ومنشأ هذا التوهم أن هذه الكلمات عجيبة لم يستعملها العرب في المشهور وهذا لا يوجب خروجها عن العربية، إذ رب كلمة عربية لم يسمعها كثير من فصحاء العرب وهي في أخبارنا المروية عن أئمتنا عليهم السلام أكثر من أن تحصى .

وقد صنّف بعضهم في الأخبار الغريبة الألفاظ كتاباً . ومن جملة أقسام الخبر عند أهل الدراية غريب اللفظ . وأول من صنّف في هذا الشأن النضر بن شميل . وقيل : أبو عبيدة

١ . الاتقان في علوم القرآن ، ج ٢ ، ص ١٣٠-١٣٩ ، فإنه ذكر الألفاظ [في ما وقع فيه بغير لغة العرب ١٢٥-١٤٣] على ترتيب التهجي وقال : «المشكاة، الكوة، بلغة الحيشة؛ ولكن في الأحكام في أصول القرآن لابن حزم الأندلسي ج ١، ص ١٧ هي بلغة هندية .
٢ . راجع كتاب المطول في شرح تلخيص المفتاح، ص ١٣ ، طبع الحجري ، مكتبة العلمية بطهران ، ١٣٧٤ ق .
٣ . الرواشح السماوية ، ص ١٥٠ . (طبع آخر ص ٢٥٠) .

معمر بن المثنى وبعده أبو عبيدة القاسم بن سلام، ثم ابن قتيبة وتبعهم غيرهم بزوائد كابن الأثير في النهاية والزمخشري في الفائق وبعدهم الطريحي - رحمه الله - في مجمع البحرين . ومن هذا القبيل قوله عليه السلام : «شيعتنا بهم» وهي جمع البهمة وهي الشيء المجهول الذي لا يعرف .^١ أو قول علي عليه السلام في جواب من سأله بقوله : طمش طاح فغادر شبلاً لمن النشب؟ قال عليه السلام : النشب للشبل قميطاً .^٢ ونهج البلاغة مشحون بأمثال ذلك .^٣ وينسب إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال : ما تربلنت قط ما تسر ولقمت قط ما تبتكمت قط ما تعمقعت قط فمن أين أصبت . وينسب إليه هذه الكلمات : «الصق روانفك بالحبوب وخذ المزابر بشناترك واجعل خندوريتك إلى قيهلى حتى لا أنغي نغية إلأ أودعتها في لمظة رباطك . ويحكى أن الفيروزآبادي صاحب القاموس سئل عن تفسيرها فقال : يعني الصق عضرطك بالصلة وخذ المصطر بأباخسك حتى لا أنبس نسبة إلأ وعيتها في جلجلانك .^٤

وبالجملات الغريبة التي لا يفهم معناها كثيرة بل ربما يكون اللفظ مشتركاً بين معان كثيرة يحكى أن صاحب القاموس في أيام استقراره لغة العرب ورد على خيمة من خيام الأعراب فرأى هناك بنتاً صغيرة فقال لها : أين أبوك قالت : فاء إلى الفيفاء ليفيء الفيء فإذا فاء الفيء فاء أي راح إلى الصحراء ليجتمع الغيثمة فإذا رجع الظل جاء» . ومن أراد الاطلاع على اللغات الغريبة فليرجع إلى المقامات للحريري هي المقامة الثانية والستون التي تعرف بالفقهية المشتملة على مائة مسألة فقهية .

منها : ما تقول في من توضعاً ثم لمس ظهر نعله . قال الفقيه : انتقض وضوءه بفعله . قال : إن توضعاً ثم أتكأه البرد قال : يجدد الوضوء من بعد البرد . قال أي مسح المتوضي أنثييه؟ قال : قد ندب إليه . ولم يوجب عليه . الأثنيان : الأذنان .
منها : أوجب الغسل على من أمنى؟ قال : لا ولو ثنى . أمنى أي نزل مني .
منها : ما تقول فيمن تيمم ثم رأى روضاً؟ قال : بطل تيممه فليتوضأ . الروض بقية الماء في الحوض .

منها : أيجوز أن يسجد الرجل في العذرة؟ قال : نعم وليجانب القذرة . العذرة فناء الدار .

١ . مجمع البحرين ، ج ١ ، ص ٢٦٠ .

٢ . الصراط المستقيم ، ج ٢ ، ص ٢٠ ؛ طبع المكتبة المرتضوية مع تصحيح البهودي .

٣ . قال السيد الشريف في مقدمة نهج البلاغة [ص ٣٦ ، صبحى صالح] بعد توصيف عجائب كلامه (ع) الوارد في الزهد والحرب : وهذه من فضائله العجيبة وخصائصه اللطيفة ، التي جمع بها بين الأضداد و ألف بين الأشتات ... ، ومع ذلك كثيراً ما اظهر تعجبه بعد الكلام المختار من خطبة وغيرها في أثناء الكتاب .

٤ . القاموس المحيط ، ج ١ ، ص ٣٤ ؛ تاج العروس ، ج ١ ، ص ٦٧ .

منها: فإن صلى وعليه صوم قال: يعيد ولو صلى مائة يوم. الصوم وزق النعام.
منها: فإن قطر على ثوب المصلي نجو؟ قال: يمضي في صلاته ولا غرو. النجو:
السحاب الذي قد هرق مائة.

منها: إن أكل الصائم بعد ما أصبح؟ قال: هو أحوط له وأصلح. أصبح استصبح
بالمصباح قال: فإن عمد لأن يأكل ليلاً؟ قال: ليشمر للقضاء ذياً. الليل فرخ الحباري.
منها: إن ضحكت المرأة في صومها؟ قال: بطل صوم يومها. ضحكت ها هنا: أي
حاضت ومنه قوله تعالى: ﴿فضحكت فبشرناها بإسحاق﴾^١.
منها: أيحل الطوف في الربيع؟ قال يكره ذلك للحدث الشنيع^٢.

الطوف: التغوط، والربيع: النهر الصغير. ومنه ما ورد في الخبر: «لا تبل في مستنقع و
لا تطف بقبر»^٣ وظاهر الخبر إرادة هذا المعنى كما يلائمه سائر الفقرات مثل لا تشرب راكداً
ولا تبل في مستنقع، وإن احتمل بعضهم أن يكون المراد النهي عن الطواف ومنع جوازه. و
يحتمل أن يكون من باب الإفعال، فيكون المراد النهي عن الاجتماع على الغير والتكلم ولو
فرض أن المراد النهي عن الطواف فالظاهر أن المراد الطواف المخصوص الذي هو من أعمال
الحج أي السبعة الأشواط لا مطلق الدوران كذا ذكره المحدث المجلسي - رحمه الله -^٤.
وبالجملة الألفاظ الغريبة كثيرة فعليك بالتتبع وبذل الجهد في الأدبيات لتلتذ بمعرفة
كلمات الفصحاء والآيات والأخبار الغامضة وكيف كان فأسلوب القرآن خارج عن أسلوب
كلام البشر ومع ذلك لا يخالفه بل يوافقه في الكيفية واعتبار النكات والمحسنات قال
-تعالى-: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه﴾^٥ فكما أن العرب يستعملون الحقائق و
المجازات والكنايات والاستعارات والتشبيهات والأمثال فكذا القرآن المجيد مشتمل عليها
حتى اللغز كما قيل^٦ ولا شك عند المتأدب المتدرب أن الكلام كل ما كان ألمح وأكثر
استحساناً كان أوقع. ألا ترى أن القصائد والأشعار وكلمات النثر كلما كان ألمح كان
أوقع فلاحظ ما كتب علي عليه السلام إلى معاوية فما أوقعه في القلب وهو قوله عليه السلام: «غرّك عزك»

١. هود(١١): ٧١.

٢. المقامات الحري، ص ٧٤، مقامة الطينية.

٣. مجمع البحرين، ج ٣، ص ٧٤، باب ط، فإنه ذكر الحديث.

٤. بحار الأنوار، ج ٩٧، ص ١٢٦.

٥. إبراهيم(١٤): ٤.

٦. راجع المفسرون حياتهم ومنهجهم للأيازي، ص ٧٢٧؛ و علوم القرآن عند المفسرين لمركز الثقافة و المعارف القرآنية، ج ٣، ص ٢٤٤.

إلى آخره وتأمل في قصيدة الحريري المشتملة أشعارها على قافيتين المذكورة في المقامة الثالثة والعشرين فهي من أحسن القصائد في ذم الدنيا وهي قوله :

يا خاطب الدنيا الدنية إنَّها شرَك الردى وقرارة الأكدار
دار متى ما أضحكت في يومها أبكت غداً بعداً لها من دار
وإذا أطل سحابها لم ينتقع منه صدى لجهامه الغرار
غاراتها ما تنقضي وأسيرها لا يقتدى بجلائل الأخطار
كم مزدهي بغرورها حتى بدا متمرداً متجاوز المقدار
قلبت له ظهر المجنّ وأولعت فيه المدى ونزت لأخذ الثار
فاربأ بعمرِكَ أن يمرّ مُضِيْعاً فيها سدى من غير استظهار
واقطع علائق حبّها وطلابها تلق الهدى ورفاهة الأسرار
وارقب إذا ما سالمت من كيدها حرب العدى وتوثب الغدار
واعلم بأنّ خطوبها تفجأ ولو طال المدى ووّت سرى الأقدار

فيقرأ بقافية أخرى بحذف جزئين من كل شعر هكذا :

يا خاطب الدنيا الدنية إنَّها شرَك الردى دار متى ما أضحكت في يومها أبكت غداً

إلى آخره .

ففي الكلام المشتمل على اللطائف تأثير عجيب .

ومن جملة اللطائف التمثيل بالأمثال في شرح الصحيفة .

عن الصادق عليه السلام أنه قال : « أمثال القرآن لها فوائد فانعموا النظر وتفكروا في معانيها ولا تمرّوا بها » .

قال بعض العلماء : ضرب الأمثال في القرآن يستفاد منه أمور كثيرة : التذكير والوعظ و الحثّ والزجر والاعتبار والتقرير وتقريب المراد للعقل وتصويره بصورة المحسوس .

ومن ثمّ كان الغرض من المثل تشبيه الخفى بالجليّ والغائب بالشاهد^٣

وفيه أيضاً

قال بعضهم : من أعظم علم القرآن علم أمثاله ، والناس في غفلة منه لاشتغالهم بالأمثال

١ . بحار الأنوار ، ج ٧٥ ، ص ٨٣ ، باب ١٦ ، ح ٨٦ .

٢ . شرح مقامات الحريري ، ص ٢٢٣ - ٢٢٥ .

٣ . رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين ، ج ٥ ، ص ٤٦١ .



وإغفالهم الممثلات، والمثل بلا ممثل كالفرس بلا لجام والناقة بلا زمام. وقد عدّه الشافعي ممّا يجب على المجتهد معرفته من علوم القرآن فقال: من معرفة ما ضرب فيه من الأمثال الدوالّ على طاعته المبيّنة لاجتناب معصيته قال - تعالى - : ﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كلّ مثل لعلمهم يتذكّرون﴾^١ أي يتّعظون انتهى^٢.
وقال - تعالى - : ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلّا العالمون﴾^٣ وفي دعاء ختم القرآن من الصحيفة السجادية عليه السلام :

«حتّى توصل إلى قلوبنا فهم عجائبه، وزواجر أمثاله التي ضعفت الجبال الرواسي على صلابتها عن احتمالها»^٤.

وقد مثل الله - تعالى - في القرآن كثيراً، والمثل له معان منها الصفة والقصة الرائعة فيشبهها العرب لاستحسانها واستغرابها ببعض الأمثال كقوله - تعالى - : ﴿يا أيّها الناس ضرب مثل فاستمعوا له﴾ الآية وهي في سورة الحج^٥.
في الكافي عن الصادق عليه السلام :

«كانت قريش تلتطخ الأصنام التي كانت حول الكعبة بالمسك والعنبر وكان يغوث قبل الباب و كان يعوق عن يمين الكعبة و كان نسر عن يسارها وكانوا إذا دخلوا خرّوا سجداً ليغوث ولا ينحنون، ثمّ يستديرون بحيالهم إلى يعوق، ثمّ يستديرون بحيالهم إلى نسر، ثمّ يلبّون فيقولون: لبيك اللهمّ لبيك لبيك لا شريك لك إلّا شريك هو لك تملكه وما ملك قال: فبعث الله ذباباً أخضر له أربعة أجنحة فلم يبق من ذلك المسك والعنبر شيئاً إلّا أكله، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿يا أيّها الناس ضرب مثل﴾ الآية^٦»
وحديث توسّل أبي جهل بالأصنام مشهور وفي الكتب المذكور.

ويطلق المثل على القول السائر الممثل يضربه بمورده ولا يضرب إلّا ما فيه غرابة ولذلك حوفظ عليه من التغيير، وعلم الأمثال متكفّل لبيان هذا القسم ويستعار لكلّ أمر عجيب كما

١. الزمر (٣٩): ٢٧.

٢. نفس المصدر، ج ٥، ص ٤٦٢.

٣. العنكبوت (٢٩): ٤٣.

٤. الصحيفة السجادية الكاملة، و كان من دعائه عليه السلام عند ختم القرآن، الدعاء ٤٢؛ رياض السالكين، ج ٥، ص ٣٨٥.

٥. الحج (٢٢): ٧٣.

٦. الكافي، ج ٤، ص ٥٤٢، باب النوادر، ح ١١؛ بحار الأنوار، ج ٣، ص ٢٥٣، ح ١١؛ جامع أحاديث الشيعة، ج ١١، ص ٧٤ والآية في سورة الحج (٢٢): ٧٣.



مرّ. وقد يتضمّن تشبيهاً، وفائدة ضرب المثل زيادة التوقيع والتقرير، فإنه أوقع للقلب وأقنع للخصم الألد؛ لأنه يريك المتخيّل محققاً والمعقول محسوساً، ولذاكثر الأمثال في كلام الله - تعالى -، وكلام الأنبياء ومن ألمحها المثل المضروب في آية النور كما سنبيّن - إن شاء الله تعالى - فتأمل في الأمثال المذكورة في القرآن كقوله - تعالى - : ﴿ ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء * تؤتي أكلها كل حين بإذن ربّها ويضرب الله الأمثال للناس لعلّهم يتذكّرون * ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار ﴾^١

العيّاشي عن الصادق عليه السلام : « هذا مثل ضربه الله لأهل بيت نبيّه ولمن عاداهم »^٢. وفي الكافي عنه عليه السلام : أنه سئل عن الشجرة في هذه الآية « فقال : رسول الله صلى الله عليه وآله أصلها، وأمير المؤمنين فرعها، والأئمة من ذريّتهما أغصانها وعلم الأئمة عليهم السلام ثمرتها، وشيعتهم المؤمنون ورقها هل فيها فضل؟ قال : قلت : لا والله، قال : والله إن المؤمن ليولد فتورق ورقة فيها وإن المؤمن ليموت فتسقط ورقة منها »^٣.

وفي الإكمال : « والحسن والحسين عليهما السلام ثمرها والتسعة من ولد الحسين أغصانها »^٤. وفي المعاني : « وغصن الشجرة فاطمة وثمرها أولادها وورقها شيعتها »^٥.

وفي المجمع عن الباقر عليه السلام :

« إن هذا يعني قوله - تعالى - : ﴿ ومثل كلمة خبيثة ﴾^٦ إلى آخره مثل بني أمية »^٧. ونظيرهذه الشجرة في دار الآخرة شجرة طوبى بل هي عينها في الحقيقة.

في الكافي في حديث رواه عن الصادق عليه السلام :

« وطوبى شجرة في الجنة أصلها في دار النبي محمد صلى الله عليه وآله وليس من مؤمن إلّا وفي داره

١. إبراهيم (١٤) : ٢٦-٢٤، قال في حاشية الرسالة : « كلمة طيبة أي قولاً حقاً ودعاءً إلى صلاح، و شجرة طيبة : النخلة، و شجرة خبيثة كالخنظل، و اجتثت أي اقتلعت من جث [آز ريشه كند] منه.

٢. تفسير العياشي، ج ٢، ص ٢٢٥؛ بحار الأنوار، ج ٢٤، ص ١٤٢، ح ٩؛ التفسير الأصفي، ج ٣، ص ٨٥.

٣. الكافي، ج ١، ص ٤٢٨، ح ٨٠؛ وراجع أيضاً تفسير القمي، ج ١، ص ٣٦٩؛ وبحار الأنوار، ج ٩، ص ٢١٧، ح ٩٧، فإنّهما نقلًا قريباً منه عن أبي جعفر (ع).

٤. كمال الدين و تمام النعمة، ص ٣٤٥.

٥. معاني الأخبار، ص ٤٠٠، باب نوادر المعاني، ح ٦١.

٦. إبراهيم (١٤) : ٢٦.

٧. تفسير مجمع البيان، ج ٦، ص ٧٥.

غصن منها لا تخطر على قلبه شهوة شيء إلا أتاه به ذلك ولو أن ركباً مجدداً سار في ظلها مائة عام ما خرج منه، ولو طار من أسفلها غراب ما بلغ أعلاها حتى سقط هرماً^١.
وفي تفسير علي بن إبراهيم عن أبي عبد الله قال:

«طوبى شجرة في الجنة في دار أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - وليس أحد من شيعته إلا وفي داره غصن من أغصانها وورقة من أوراقها تستظل تحتها أمة من الأمم»^٢.
قال صدر المتألهين في الرسالة العرشية بعد نقل الخبر الثاني:

وإنما نسب معنى طوبى إلى دار الآخروية من بيت قلبه المعنوي دون دار محمد ﷺ؛ لأن تفاصيل العلوم الحقيقية التي جاء بمجموعها الرسول والكتاب مستفادة من بيانه وتعليمه وهو كما أشار إليه - تعالى - بقوله: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ وبقوله: ﴿وَإِنَّ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدِينًا لِعَلِيٍّ حَكِيمٍ﴾^٣ وبقوله: ﴿فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ وبقوله: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾^٤ ولذلك ورد أنه ﷺ قال: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: «يَا عَلِيُّ أَنَا الْمُنذِرُ وَأَنْتَ الْهَادِي»^٥ الخ^٦.

وأورد عليه العارف الشارح بأن علم علي من علم محمد مجملة ومفصلة قال:
«نعم لو قال: إن صاحب الخلافة صاحب التأويل وصاحب النبوة هو حامل التنزيل وطوبى من نوع التأويل ما نسب كلامه»^٧.

أقول: سيأتي منا في بيان الفرق بين النبوة والولاية ما ينفع لهذا المقام. وبالجملة فهذا تمثيل للعلم وتشبيه لفيضه بالثمرة. وأهل العصمة أهل العلم وبهم يصل نوره إلى غيرهم من العلماء وإلى غيرهم بتوسطهم. قال - تعالى -: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً﴾ الآية^٨. ولذا يستشم منهم رائحة شجرة طوبى.

١. الكافي، ج ٢، ص ٢٣٩، ح ٣٠؛ الأمالي للصدوق، ص ٢٩٠، ح ٧/٣٢٣.
٢. تفسير القمي، ج ١، ص ٣٦٥.
٣. الزخرف (٤٣): ٤.
٤. الرعد (١٣): ٧.
٥. مناقب آل أبي طالب، ج ٢، ص ٢٨٠؛ مدينة المعاجز، ج ١، ص ٣٢٧.
٦. كتاب العرشية، ص ٦٣، تصحيح: غلامحسين آهني، انتشارات مهدي، اصفهان، و ص ٢٧٩، انتشارات مولی، سال ١٣٤١ همراه با ترجمه.
٧. شرح العرشية للأحسائي، ص ٣١٣.
٨. سبأ (٣٤): ١٨.



عن أبي عبد الله عليه السلام: «أنه كان رسول الله صلى الله عليه وآله يكثّر تقبيل فاطمة - عليها السلام - فأنكرت ذلك عائشة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عائشة إنّي لمّا أسري بي إلى السماء دخلت الجنة فأداني جبرئيل من شجرة طوبى وناولني من ثمارها فحوّل الله ذلك ماء في ظهري، فلمّا هبطت إلى الأرض وقعت خديجة فحملت بفاطمة وكلّ ما اشتقت إلى الجنة قبلتها وما قبلتها قطّ إلّا وجدت رائحة شجرة طوبى منها فهي حوراء إنسيّة»^١.

وفي شرح العرشية روى الشيخ بسنده يرفعه إلى سلمان الفارسي قال:

«دخلت على فاطمة - عليها السلام - والحسن والحسين عليهما السلام يلعبان بين يديها ففرحت لهما فرحاً شديداً فلم ألبث حتّى دخل رسول الله صلى الله عليه وآله، فقلت يا رسول الله: أخبرني بفضيلة هؤلاء لأزاد لهم حبّاً فقال: يا سلمان ليلة أسري بي إلى السماء أدارني جبرئيل - في سماواته وجنانه، فبينما أنا أدور في قصورها وبساتينها ومقاصيرها، إذ شممت رائحة طيبة فأعجبنتي تلك الرائحة، فقلت: يا حبيبي ما هذه الرائحة التي غلبت على روائح الجنة كلّها فقال: يا محمّد تفاحة خلقها الله - تبارك وتعالى - بيده منذ ثلاثة مائة عام ما ندري ما يريد بها، فبينما أنا كذلك إذا رأيت ملائكة ومعهم تلك التفاحة. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: وأخذت من تلك التفاحة، فوضعتها تحت جناح جبرئيل، فلمّا هبط بي إلى الأرض أكلت تلك التفاحة فجمع الله مائها في ظهري فغشيت خديجة بنت خويلد، فحملت بفاطمة من ماء التفاحة، فأوحى الله - عزّ وجلّ - إليّ أن قد ولدت لك حوراء إنسيّة، فزوج النور من النور، فاطمة من عليّ فأبني قد زوجتها في السماء^٢، وجعلت خمس الأرض مهرها، وستخرج فيما بينهما ذريّة طيبة وهما سراجا الجنة الحسن والحسين ويخرج من صلب الحسين أئمة يقتلون ويخذلون، فالويل لقاتلهم وخاذلهم» الخ^٣.

أقول: بعض الأخبار يشعر بأنّ شجرة طوبى تحمل كلّ فاكهة،^٤ ويمكن أن يقال تحمل التفاح دون غيره، ولا ريب أنّ في التفاح جهة اختصاص وهو الذي يستشم رائحته من قبر

١. بحار الأنوار، ج ٨، ص ١٢٠، ح ١٠؛ نظم درر السمطين، ص ١٧٧؛ تفسير العياشي، ج ٢، ص ٢١٢؛ ينابيع المودة لدوي القريب، ج ٢، ص ١٣١، ح ٣٦٩؛ علل الشرايع، ج ١، ص ١٨٣، ح ١، باب ١٤٧.

٢. في المصدر: في الجنة.

٣. شرح العرشية، ص ٣١٤؛ مدينة المعاجز، ج ٣، ص ٢٢٤، ح ٣/٨٤١؛ بحار الأنوار، ج ٣٦، ص ٣٦١، ح ٢٣٢؛ نقلاً عن كنز جامع الفوائد و تأويل الآيات الظاهرات.

٤. عيون أخبار الرضا، ج ٢، ص ٣٠٤.

الحسين عليه السلام خصوصاً في آخر الليل .^١

في البحار روي عن الحسن البصري وأم سلمة أن الحسن والحسين عليهما السلام :

«دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه جبرئيل، فجعل يدوران حوله يشبهانه بدحية الكلب، فجعل جبرئيل يؤمّي بيده كالمتناول شيئاً، فإذا في يده تفاعحة وسفرجلة ورمانة، فناولهما وتهللت وجوههما وسعيا إلى جدهما فأخذ منهما فشمها ثم قال: صيرا إلى أمكما بما معكما، وبدؤكما بأبيكما أعجب، فصارا كما أمرهما فلم يأكلوا حتى صار النبي صلى الله عليه وسلم إليهم، فأكلوا جميعاً فلم يزل كلما أكل منه عاد إلى ما كان حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحسين عليه السلام: فلم يلحقه التغير والنقصان أيام فاطمة - عليها السلام - بنت رسول الله حتى توفيت، فلما توفيت فقدنا الرمان وبقي التفاح والسفرجل أيام أبي، فلما استشهد أمير المؤمنين عليه السلام فقد السفرجل وبقي التفاح على هيئته للحسن عليه السلام حتى مات في سمّه وبقيت التفاحة إلى الوقت الذي حوصرت عن الماء، فكنت أشمها إذا عطشت فيسكن لهب عطشي، فلما اشتد علي العطش عضضتها وأيقنت بالفناء. قال علي بن الحسين عليه السلام: سمعته يقول: ذلك قبل مقتله بساعة، فلما قضى نجه وجدت ريحها في مصرعه، فالتمست فلم ير لها أثر فبقي ريحها بعد الحسين ولقد زرت قبره فوجدت ريحها يفوح من قبره، فمن أراد ذلك من شيعتنا الزائرين للقبر، فليلمس ذلك في أوقات السحر فإنه يجده إذا كان مخلصاً».^٢

تكميل

الفرق بين التشبيه والتمثيل

يجب أن يكون في هيئة اجتماعية من أمور متعددة، والتشبيه أعم. ولهذا يسمّى مثل قولهم: أراك تقدّم رجلاً وتؤخّر أخرى استعارة تمثيلية، وقد يمثّل بطريق الاستعارة كما في قوله - تعالى -: ﴿ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلماً لرجل هل يستويان مثلاً الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون﴾^٣ متشاكسون أي متنازعون، سلماً أي خالصاً .

١. شرح العرشية للأحسائي، ص ٣١٤.

٢. بحار الأنوار، ج ٤٣، ص ٢٨٨، ح ٥٢؛ ج ٤٥، ص ٩١، ح ٣١؛ مستدرک الوسائل، ج ١٠، ص ٤١٢، ح ١٢٢٧٢؛ مناقب آل أبي طالب، ج ٣، ص ١٦١؛ روضة الواعظين، ص ١٦٠.

٣. الزمر (٣٩): ٢٩.

القمي :

مثل ضربه الله - عز وجل - لأمير المؤمنين ولشركائه الذين ظلموا وغصبوه حقه .
قوله : متشاكسون : أي متباغضون ، وقوله : ورجلاً مسلماً لرجل أمير المؤمنين سلم لرسول
الله ﷺ^١



وفي المعاني عن أمير المؤمنين ﷺ قال :

«ألا وإني مخصوص في القرآن بأسماء احذروا أن تغلبوا عليها فتضلوا في دينكم...أنا
السلم لرسول الله ويقول الله - عز وجل - : ﴿ورجلاً مسلماً لرجل﴾^٢
وفي الكافي عن الباقر ﷺ :

«أما الذي فيه شركاء متشاكسون فلأن الأول يجمع المتفرقون ولايته وهم في ذلك يلعن
بعضهم بعضاً ويبرأ بعضهم من بعض . وأما رجل سلم لرجل فإنه الأول حقاً وشيعته»^٣
والمقصود من التمثيل في ظاهر الآية عدم ثبات المشرك وعدم استقراره على أمر . ولذا
شبهه في قوله - تعالى - : ﴿ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي
به الريح في مكان سحيق﴾^٤ بما ذكر في الآية .

ومن جملة ما مثل الله - تعالى - به للمشرك قوله - تعالى - : ﴿مثل الذين اتخذوا من دون
الله أولياء كمثل العنكبوت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون﴾^٥
إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم* وتلك الأمثال نضربها للناس
وما يعقلها إلا العالمون*^٦ والأمثال كل ما كان أبسط وأقل أجزاءً وشرطاً كان أقرب إلى الفهم ،
وكل ما كان أكثر كان أصعب فهماً والأمثال القرآنية مختلفة ، فبعضها من قبيل الأول و
بعضها من قبيل الثاني . ومنه المثل المذكور في آية النور كما لا يخفى . ومن هذا القبيل تمثيل
حال الدنيا في آيات عديدة مثل قوله - تعالى - : ﴿واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه

١ . تفسير القمي ، ج ٢ ، ص ٢٤٩ .

٢ . معاني الأخبار ، ص ٥٩ و ٦٠ ، باب معاني أسماء محمد وعلي ... ، ح ٩ ؛ بحار الأنوار ، ج ٢٤ ، ص ١٦٣ ، ح ١٤ نقلاً عن معاني
الأخبار ؛ تفسير الصافي ، ج ٤ ، ص ٣٢١ .

٣ . الكافي ، ج ٨ ، ص ٢٢٤ ، ح ٢٨٣ ؛ بحار الأنوار ، ج ٢٤ ، ص ١٦٠ ، ح ٩ .

٤ . الحج (٢٢) : ٣١ .

٥ . العنكبوت (٢٩) : ٤١-٤٣ .

٦ . و من جملة الأمثال ما لا يعلم وجه المماثلة فيه إلا بالبيان كما في قوله - تعالى - ﴿فمثلته كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث﴾
الآية [الأعراف (٧) : ١٧٦] أو هي مثل لخال بلعم بن باعور . منه

من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح ﴿١﴾ وقوله - تعالى - : ﴿٢﴾ إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس ﴿٣﴾

والمقصود فناء الدنيا وأهلها وعدم ثبات أحوالها وهو من لوازم الحوادث سيما عالم الأجسام المشوبة بالتغيرات والتبدلات . ولذا يرى وضع الدنيا وأهلها على الزوال ؛ لأن أزميتها غير قارة الذات منقطع الآخر بأيامها ولياليها فلا يزال الليل والنهار مختلفين وكذا أمكنتها مع اختلاف حالات عناصرها ويتبدل صورها واختلاف أحوالها بالفعل والانفعال لحصول المزاج من المعتدل الطبي وغيره مما حقق في محالها .

ومن هذا القبيل تمثيل حال بني إسرائيل في قوله - تعالى - : ﴿٤﴾ مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا ﴿٥﴾ . آومنه تمثيل حال المنافقين في قوله - تعالى - : ﴿٦﴾ مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون ﴿٧﴾ صمّ بكم عمي فهم لا يرجعون ﴿٨﴾ أو كصيب من السماء ﴿٩﴾ الآية ، فإنها مثل ضربه الله لمن آتاه خبر ما من الهدى فأضاعه ولم يتوصل به إلى نعيم الأبد ، فيبقى متحيراً متحسراً كالمنافقين الذين أضاعوا ما نطقت به ألسنتهم من الحق باستبطان الكفر وإظهاره حين خلوا إلى شياطينهم ، أو مثل لإيمانهم من حيث أنه يعود عليهم بحقن الدماء وسلامة الأموال و الأولاد ومشاركة المسلمين في المغنم والأحكام بالنار الموقدة للاستضاءة ولذهاب أثره وانطماس نوره بإهلاكهم وإفشاء حالهم بإطفاء الله - تعالى - إياها وإذهاب نورها . وإتاما اختير نورهم على نارهم ؛ لأنه المراد من إيقاد النار . والمراد من الظلمات ظلمة الكفر وظلمة يوم القيامة ﴿١٠﴾ يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم ﴿١١﴾ ، أو ظلمة الضلال وظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمد ، أو ظلمة شديدة كأنها ظلمات متراكمة . وقوله : ﴿١٢﴾ أو كصيب من السماء الآية أي كمثل ذوي حسب يعني مثل ما خوطبوا به من الحق والهدى

١ . الكهف (١٨) : ٤٥ .

٢ . يونس (١٠) : ٢٤ .

٣ . الجمعة (٦٢) : ٥ .

٤ . البقرة (٢) : ١٩-١٧ .

٥ . الحديد (٥٧) : ١٢ .

كمثل مطر ، إذ به حياة القلوب كما بالمطر حياة الأرض ﴿فيه ظلمات﴾ مثل للشبهات المتعلقة به ﴿ورعد وبرق﴾ مثل للتخويف والوعيد والآيات الباهرة ﴿يجعلون أصابعهم﴾ الخ . كان هؤلاء المنافقون يخافون أن يعثر النبي على كفرهم ونفاقهم فيقتلهم ، فإذا سمعوا لعناً أو وعيداً من النبي ﷺ لمن نكث البيعة جعلوا أصابعهم في آذانهم لأن لا يسمعو فيتغيّر ألوانهم فيعرف المؤمنون أنهم المعينون بذلك ﴿يكاد البرق يخطف أبصارهم﴾ ، فيكاد ما في القرآن من الآيات المحكمة الدالة على صدق النبي ﷺ ييطل عليهم سائر ما عملوه من الأشياء التي يعرفونها ، فإن من جحد حقاً أدى ذلك إلى أن يجحد كل حق ﴿كل ما أضاء لهم مشوافيه﴾ ، فهؤلاء المنافقين إذا رأوا ما يحبون في دنياهم رجعوا بيعتهم وأظهروا الطاعة ، وإذا رأوا ما يكرهون وقفوا وتشاءوا ببيعتهم التي بايعوها .

ويمكن أن يكون المراد تشبيه إيمانهم المخالط بالكفر والخداع بصيب كذا وكذا . هذا الذي ذكرناه على فرض أن يكون الآية من قبيل التمثيلات المؤلفة .

ويمكن أن يكون من قبيل التمثيلات المفردة كقوله - تعالى - : ﴿وما يستوي الأعمى و البصير﴾ ولا الظلمات ولا النور* ولا الظل ولا الحرور*^١ وكونهم على هذه الحالة يعلم من ملاحظة حالاتهم التي بيّنها الله - تعالى - في الآيات السابقة على التمثيل وهي قوله - تعالى - : ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله﴾ - إلى قوله - تعالى - ﴿وما كانوا مهتدين﴾^٢ ومظهر هذه الصفات على الوجه الأتم هو الأوّل والثاني كما يشهد به كيفية الغار وقوله عند وفاة رسول الله ﷺ : «إن الرجل ليهجر»^٣ إلى غير ذلك ممّا صدر عنهما .

تكميل وإرشاد

اعلم أن التمثيل الواقع في كلام الله - تعالى - ممّا يوافق الحكم الظاهرة والخفية مثل سائر أفعاله ،^٤ وكلّ من كان أكثر حكمة فهو أخفى حكمة ؛ لأنّ الحكمة هي وضع الشيء في

١ . فاطر (٣٥) : ٢١-١٩ .

٢ . البقرة (٢) : ١٦-٨ .

٣ . الطوائف في معرفة مذاهب الطوائف لابن طاووس ، ص ٤٣٢ ؛ وفي صحيح مسلم فقال : «إن رسول الله ﷺ يهجر» . ر . ك : صحيح مسلم ، ج ٣ ، ص ١٢٥٩-١٢٥٧ ، كتاب الوصية .

٤ . يجب مماثلة الممثل مع المثل ويشكل في قوله : ﴿مثل نوره كمشكاة﴾ فإنّ المطابقة في نور الشمس أظهر مع منافاته ظاهر القول - تعالى - ﴿فلا تضربوا لله الأمثال﴾ منه .

موضعه، وموضع الأشياء لا يعرف إلّا بالعلم بحقائق ذواتها وكيفيات صفاتها ولوازمها و عوارضها، ولذلك يكون الأعم أحكم، ومصلحة ما يفعله أبعد عن الأنظار الظاهرة، فيكون أفعاله غرضاً لسهام الإيراد بعيدة عن الأفهام كما ترى في صنائع أهل الصنعة، ولهذا ترى الناس لا يرضون بأفعال خالقهم لخفاء حكمها وقصور إفهامهم حتى أنّ الملائكة قالوا لله -تعالى- لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ ﷺ: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ الآية^١ وتشعب البشر بشعب كثيرة في مقام البحث على أفعاله بل الجن أيضاً كما أورد إبليس سبع شبه وأجابه الله -تعالى- بكلمة واحدة، فمنهم من يحث على أصل خلقة المخلوق، ومنهم من يحث على بعض كيفيات الخلق كالباحثين على إرسال الرسول والباحثين على خلقة الإنسان على الكيفية المعهودة أو عدم تشابه صورهم كما في الحيوانات ولم يعرفوا حكمها، وقد بين مولانا الإمام الصادق ﷺ للمفضل بعض حكم ذلك،^٢ ومن هذا القبيل إيرادهم على الله -تعالى- بضرب المثل أو المثل بالمكنكوت والبعوضة وغيرهما من الأشياء الحقيرة الصغيرة كما حكى الله تعالى في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ الآية،^٣ فيعلمون أنّ الحق في المثل أن يكون على وفق الممثل له في الصغر والعظم والخسة والشرف لبيئته ويوضحه كما مثل في الإنجيل غلّ الصدر بالنخالة، والقلوب القاسية بالحصاة، ومخاطبة السفهاء بإثارة الزنايبير. وجاء في كلام العرب اسمع من قراد وأعزّ من مخّ البعوض. وقد شبه الدنيا في الخبر بجناح البعوضة بل جعلت أحقر منها.^٤

وفي نهج البلاغة جعلها ﷺ أزهد من عفتة عنز.^٥ وفي المجمع عن الصادق ﷺ: «إِنَّمَا ضَرَبَ اللَّهُ الْمَثَلَ بِالْبَعُوضَةِ؛ لِأَنَّهَا عَلَى صِغَرِ حَجْمِهَا، خَلَقَ اللَّهُ فِيهَا جَمِيعَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي الْفِيلِ مَعَ كِبَرِهِ وَزِيَادَةِ عَضْوِينَ آخَرِينَ، فَأَرَادَ [اللَّهُ تَعَالَى] أَنْ يَنْبَهَ بِذَلِكَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى لَطِيفِ خَلْقِهِ، وَعَجِيبِ صَنْعِهِ».^٦

١. البقرة (٢): ٣٠.

٢. طرائف المقال، ج ٢، ص ٥٥٦، ترجمه هشام بن الحكم، طبع مكتبة النجفي. قم.

٣. البقرة (٢): ٢٦.

٤. تفسير أبي السعود، ج ١، ص ٧١، وفيه «معارضة السفهاء» بدل «مخاطبة السفهاء». طبع دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٥. قال ﷺ: «وَأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدُ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنزٍ». نهج البلاغة، خطبة سوم، ص ٣٧، شرح محمد عبده؛ علل الشرايع، ج ١، ص ١٥١؛ الأمالي للطوسي، ص ٣٧٤.

٦. مجمع البيان، ج ١، ص ١٣٥؛ تفسير الصافي، ج ١، ص ١٠٤؛ بحار الأنوار، ج ٩، ص ٦٤.

أقول: ذكر في مجمع البحرين:

أنّ للفيل أربعة أرجل وخرطوماً وذنباً، وللبعوض مع هذه الأعضاء رجلان زائدتان وأربعة أجنحة، وخرطوم الفيل مصمّت وخرطومه مجوّف، فإذا طعن به جسد الإنسان استسقى الدم وقذف به إلى جوفه فهو له كالبلعوم والحلقوم....

ونقل القاضي ابن الخلّكان عن بعض الفضلاء أنّ الزمخشري أوصى أن تكتب هذه الآيات على قبره وقد ذكرها في تفسيره في سورة البقرة:

فيا من يرى مدّ البعوض جناحه في ظلّمة الليل البهيم الأليل
ويرى مناط عروقها في نحرها والمخّ في تلك العظام النحل
أمنن على بتوبة أمحو بها ما كان منّي في الزمان الأوّل

ومن بعض ما قيل:

لا تحقرنّ صغيراً في عداوته إنّ البعوضة تدمي مقلة الأسد^١
وكيف يستبعد التمثيل بهذه الأشياء الحقيرة مع أنّ الله - تعالى - قد أودع في كلّ منها بدائع عجيبة، وهلاك نمرود ببعوضة عوجاء دخلت في دماغه معروف مشهور،^٢ وعجز جبرئيل عن قطع نسيج العنكبوت يوم الغار في كتب الأخبار المذكور.^٣

تبصرة

[إنّ للقرآن ظهراً وبتناً وتفسيراً وتأويلاً]

هذه الآية الشريفة من مشكلات الآيات؛ لأنّ ظاهرها صعب وباطنها أصعب، فإنّ لكلّ آية من آي القرآن ظهراً وبتناً وتفسيراً وتأويلاً، ولكلّ بطن بطن إلى سبعة أو سبعين أو سبعمائة أبطن كما في الأخبار.^٤ ولذلك كان الأئمة عليهم السلام ربّما يفسرون الآية الواحدة على وجوه مختلفة كما روى العياشي بإسناده عن جابر قال:

«سألت أبا جعفر عليه السلام عن شيء من تفسير القرآن فأجابني، ثمّ سألته ثانية فأجابني بجواب

١. مجمع البحرين، ج١، ص٢٢٠؛ وفي الكشف، ج١، ص١١٦ ووفيات الأعيان، ج٥، ص١٧٣ نقل الآيات مع اختلاف، والمنصف أخذ من مجمع البحرين.

٢. مجمع البيان، ج٢، ص١٤٩، ذيل سورة البقرة (٢): ٢٥٨؛ بحار الأنوار، ج١٢، ص١٨؛ ج١، ص٦١، ص٣٢١.

٣. بحار الأنوار، ج١٧، ص٣٩١.

٤. عوالي اللئالي، ج٤، ص١٠٧، ح١٥٩.



آخر، فقلت: جعلت فداك أجبت في هذه المسألة بجواب غير هذا قبل اليوم، فقال لي: يا جابر إن القرآن بطناً وللبطن [بطناً وظهراً وللظهر] ظهرأ. يا جابر وليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن. إن الآية لتكون أولها في شيء وآخرها في شيء و هو كلام متصل يتصرف على وجوه^١.

وبإسناده عن الفضيل بن يسار قال:

«سألت أبا جعفر عليه السلام عن هذه الرواية ما في القرآن آية إلأ ولها ظهر وبطن وما فيه حرف إلأ وله حدّ ولكل حدّ مطلع ما يعني بقوله لها ظهر وبطن قال: ظهره تنزيله وبطنه تأويله منه ما مضى ومنه ما لم يكن بعد يجري كما يجري الشمس والقمر، كل ما جاء منه شيء وقع، قال الله - تعالى -: ﴿وما يعلم تأويله إلأ الله والراسخون في العلم﴾ نحن نعلمه^٢.

قال الفيض - رحمه الله - في الصافي:

المطلع - بتشديد الطاء وفتح اللام - بمعنى مكان الاطلاع من موضع عال، ويجوز أن يكون بوزن مصعد - بفتح الميم - ومعناه أي مصعد يصعد إليه من معرفة علمه، و محصل معناه قريب من معنى التأويل والبطن كما أن معنى الحدّ قريب من معنى التنزيل والظهر^٣. ومن طريق العامة عن النبي صلى الله عليه وآله «إن للقرآن ظهراً وبطناً وحداً ومطلعاً».

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «ما من آية إلأ ولها أربعة معان ظاهر وباطن وحدّ ومطلع، فالظاهر التلاوة والباطن الفهم والحدّ هو أحكام الحلال والحرام والمطلع هو مراد الله من العبد بها».

وعن الصادق عليه السلام أنه قال: «كتاب الله - تعالى - على أربعة أشياء العبارة والإشارة و اللطائف والحقائق، فالعبارة للعوام والإشارة للخواص واللطائف للأولياء والحقائق للأنبياء»^٥.

وعن النبي صلى الله عليه وآله: «أن القرآن أنزل على سبعة أحرف لكل آية منها ظهر وبطن ولكل حدّ مطلع». وفي رواية أخرى: «أن للقرآن ظهراً وبطناً و لبطنه بطناً إلى سبعة أبطن».

١ . تفسير العياشي، ج ١، ص ١٢؛ تفسير الصافي، ج ١، ص ٢٩؛ المحاسن، ج ٢، ص ٣٠٠.

٢ . تفسير العياشي ج ١، ص ١١ . بصائر الدرجات، ص ٢١٦، ج ٧؛ تفسير الصافي، ج ١، ص ٢٩.

٣ . النهاية في غريب الحديث، ج ٣، ص ١٣٢ .

٤ . يمكن تطبيقه على المراتب الأربع للقوة النظرية للنفس الناطقة، وعلى مراتب وجود الإنسان إلى مرتبة الفؤاد، فكل من غلب فيه إحدى المراتب فيفهم من القرآن أحد الأمور الأربعة ويناسبه قوله صلى الله عليه وآله: «الشريعة أقوالي» الخ. «منه» .

٥ . بحار الأنوار، ج ٧٥، ص ٢٧٧، ح ١١٣ نقلاً عن كتاب الأربعين في قضاء حقوق المؤمنين وأعلام الدين .

وربما يستفاد من هاتين الروایتين أنّ الأحرف إشارة إلى بطونه وتأويلاته . ويؤيده ما رواه في الخصال بإسناده عن حماد قال : «قلت لأبي عبد الله : إنّ الأحاديث تختلف منكم قال : فقال : إنّ القرآن نزل على سبعة أحرف وأدنى ما للإمام أن يفتي على سبعة وجوه، ثم قال : ﴿هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب﴾^١ .

وروت العامة عن النبي ﷺ أنه قال : «نزل القرآن على سبعة أحرف : أمر وزجر وترغيب وترهيب وجدل وقصص و مثل» .

وفي رواية أخرى : «زجر وأمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال» .

والمستفاد من هاتين الروایتين أنّ الأحرف إشارة إلى أقسامه وأنواعه .

ويؤيده رواية رواها أصحابنا عن أمير المؤمنين^٢ .

أقول : معنى الحرف في اللغة الطرف ، ويسمى الحرف حرفاً لوقوعه في طرف الكلام ، فيلائم كلاً من المعنيين .

وأما حمله على القرآت السبع والتكلف في تقسيم وجوه القراءات عن هذا العدد كما نقله في مجمع البيان عن بعضهم فلا وجه له مع أنّ في الروايات ما يكذبه مثل ما ورد عن الباقر عليه السلام قال : «القرآن واحد منزل من عند واحد ولكن الاختلاف يجيء من قبل الرواة»^٣ . ويمكن حملها على اختلاف اللغات كما قاله ابن الأثير في نهايته ، فبعضه بلغة قريش ، وبعضه بلغة هذيل ، وبعضه بلغة الهوازن ، وبعضه بلغة اليمن .^٤ ويمكن حمله على أقسام مراتب القراءة من الكاملة وغيرها ، فقد روت العامة أنّ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقروا بما تيسر منه .

وروا عن النبي ﷺ أنه قال لجبرئيل : «إني بعثت إلى أمة أميين فيهم الشيخ العاصي [الفاني . ن] والعجوز الكبيرة والغلام قال : فمرهم فليقرأوا القرآن على سبعة أحرف»^٥ .

وفي الخصال عن النبي ﷺ أنه قال : «أتاني آت من الله - عز وجل - فقال : [إن الله عز وجل] يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد ، فقلت : يارب وسع على أمّتي فقال : إن الله

١ . الخصال ، ص ٣٥٨ ، والآية في سورة ص (٣٨) : ٣٩ .

٢ . راجع تفسير الصافي ، ج ١ ، ص ٢٨ ، ٢٩ ، ٥٢ ، فإن المنصف نقل موارد مختلفه منه .

٣ . نفس المصدر ، ص ٥٣ ، والرواية في الكافي ، ج ٢ ، ص ٦٣٠ ، ح ١٢ .

٤ . النهاية في غريب الحديث ، ج ١ ، ص ٣٦٩ (حرف) .

٥ . مسند أحمد ، ج ٥ ، ص ١٣٢ ؛ سنن الترمذي ، ج ٤ ، ص ٢٦٣ ؛ تفسير الصافي ، ج ١ ، ص ٦٠ .

- عز وجل - يأمر أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف^١.

ويمكن أن يراد بعدد السبعة الكثرة كما يراد في السبعين في قوله - تعالى - : ﴿إن تستغفر لهم سبعين مرة﴾ الآية^٢، فإن السبعة عدد كامل لاشتمالها على أكثر أنواع العدد ولذا يجعل الثمانية أول العدد ويدخل عليها واو الثمانية .

وقال بعض أهل المعرفة ما ملخصه :^٣

إن العلم بالشيء إما يستفاد من الحسّ برؤية أو تجربة أو سماع خبر أو اجتهاد أو نحو ذلك و مثل هذا العلم لا يكون إلّا متغيّراً فاسداً متناهياً غير محيط ؛ لأنه إنّما يتعلق بالشيء في زمان وجوده كعلوم أكثر الناس . وإما يستفاد من مبادئه وأسبابه وغاياته علماً واحداً كلياً بسيطاً محيطاً على وجه عقلي غير متغيّر ، فإنّه ما من شيء إلّا وله سبب ولسببه سبب وهكذا إلى أن ينتهي إلى مسبب الأسباب ، وكلّ ما عرف سببه من حيث يقتضيه فلا بدّ وأن يعرف ذلك الشيء علماً ضرورياً ، فمن عرف الله - تعالى - بأوصافه الجمالية ونعوته الجلالية ، وعرف أنّه مبدأ المبادئ وعرف ملائكته المقرّبين المدبّرين المسخّرين للأغراض الكليّة العابدين من غير فتور الموجبة عبادتهم لأن يتشرّح عنها صور الكائنات ، فيحيط علمه بكلّ الأمور وأحوالها علماً بريئاً من التغيّر ، فيعلم من الأوائل الثواني ومن الكليات الجزئيات المترتبة عليها ومن البسائط المركّبات ، فيعلم الأمور الجزئية من حيث هي دائمة كليّة وهذا كعلم الله - تعالى - بالأشياء وعلم الملائكة و علوم الأنبياء والأوصياء بالموجودات الماضية والمستقبلية ، ومن عرف كيفية هذا العلم عرف معنى قوله - تعالى - : ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء﴾ ، ويصدق بأنّ جميع العلوم والمعاني في القرآن الكريم عرفاناً حقيقياً على بصيرة ، إذ ما من أمر من الأمور إلّا

١ . الخصال للصدوق ، ص ٣٥٨ ؛ وسائل الشيعة ، ج ٦ ، ص ١٦٤ ، ح ٦٦٣٥ / ٦ . راجع أيضاً تفسير الصافي ، ج ١ ، ص ٥٢ و ٥٣ ، فقيه كل الأقوال و الروايات .

٢ . التوبة (٩) : ٨٠ .

٣ . قال الفيض الكاشاني - رحمه الله - في المقدمة السابعة من مقدمات تفسيره المسمّى بالصافي مانصّه : قال بعض أهل المعرفة ما ملخصه : إنّ العلم بالشيء - و ساق الكلام إلى آخره - و قال : انتهى كلامه أعلى الله مقامه . وقال في الجزء الأول من الوافي في باب أنّه ليس شيء ممّا يحتاج إليه الناس إلّا وقد جاء فيه كتاب أو سنّة ، في بيان له يتعلّق بمعنى الحديث الأول مانصّه : العلم بالشيء - فساق الكلام إلى آخره - قائلاً بعده : انتهى كلامه أعلى الله تعالى مقامه ، ص ٤٩ من المجلدّة الأولى من الطبعة الثانية . فعلم أنّ المراد به صدر المتألهين و مأخذ المصنّف - رحمه الله - كلام أستاذه في شرح أصول الكافي في شرح الحديث العاشر - من باب الردّ إلى الكتاب و السنّة و كذا كلامه في شرح الحديث السادس من ذلك لأستاذه [الأصول الأصلية ، ص ١٦ ؛ تفسير الصافي ، ج ١ ، ص ٥٠] .

وهو مذكور في القرآن إما بنفسه أو بمقوماته وأسبابه ومبادئه وغاياته وما يفهمها إلّا من كان علمه من هذا القبيل.^١

ولذلك ورد عن الصادق عليه السلام على ما رواه المعلّى بن خنيس: «ما من أمر يختلف فيه اثنان إلّا وله أصل في كتاب الله ولكن لا تبلغه عقول الرجال».^٢

فعلم أنّ القرآن له تنزيل وتأويل لا يعلمه إلّا الله والراسخون في العلم، والتأويل هو بمنزلة اللبّ والحقيقة، فإنّ لكلّ شيء ظاهراً وحقيقة. ولذا ورد تأويل كثير من الآيات عنهم عليه السلام بما لا يفهمه العقول ممّا ورد فيهم وفي أوليائهم^٣ أو أعدائهم، حتّى أنّ جماعة من أصحابنا صنّفوا فيه كتاباً. وفي تفسير العياشي عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال:

«يا محمد إذا سمعت الله ذكر قوماً [أحدًا] من هذه الأمة بخير فنحن هم، وإذا سمعت الله ذكر قوماً بسوء [ممن مضى] فهم عدونا».^٤

أقول: ومن هذا القبيل لفظ الشيطان والجبت والطاغوت والفحشاء والمنكر وغيرها، فإنّ المراد بها عدوهم.^٥ وسرّ هذا المطلب مع تأييده بحديث المفضل المذكور في المقدمة الثالثة من مقدّمات الصافي.^٦ وممّا ذكرناه علم أنّ فهم معنى القرآن صعب مستصعب سيّما على القول بوقوع التحريف بالزيادة والنقصان فيه كما دلّت عليه كثير من الأخبار وإن اختلف فيه أصحابنا الأخير.

فإن قلت: قد ثبت من الأخبار أنّ للقرآن وجوهاً وهو تبيان كلّ شيء وقد تظافر الأخبار مع الأمر بالاعتصام بحبل القرآن والتماس غرائبه وطلب عجائبه والتعمّق في بطونه والتفكّر في تخومه وجولان البصر فيه وتبليغ النظر إلى معانيه. وورد أيضاً أخبار كثيرة في المنع من تفسير القرآن بالرأي مثل ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله: «من فسّر القرآن برأيه فأصاب الحقّ فقد



١. راجع تفسير الصافي، ج ١، ص ٥١٥٠، فإنّ المصنف اختصر ما خلّصه الصافي.

٢. الكافي، ج ١، ص ٦٠، باب الردّ إلى الكتاب والسنة، ح ٦؛ المحاسن، ج ١، ص ٢٦٨، ح ٣٥٥.

٣. ومن تأويل النعيم في قوله تعالى: ﴿ولتستلن يومئذ عن النعيم﴾ بهم عليه السلام. «منه».

٤. تفسير العياشي، ج ١، ص ١٣، ح ٣؛ بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ١١٥، ح ٧.

٥. ومن تأمل في هذا السرّ يعلم معنى قولهم (ع) «إنّ القرآن نزل بيّناك ادعو واسمعي يا جارا» وبه ينحلّ معنى قوله - تعالى - في سورة الفتح ﴿ليغفرلك الله ما تقدّم من ذنبك﴾ الآية [الفتح (٤٨): ٢] و يعلم معنى بعض الخطابات القرآنية مثل ما خوطب به اليهود من النبي (ص) مع أنّ المقصود أسلافهم كقوله - تعالى -: ﴿وإذ نجيناكم من آل فرعون﴾ [البقرة (٢): ٤٩] ويعلم سرّ ضرب الدلة على جميعهم [البقرة (٢): ٦١ و آل عمران (٣): ١١٢] مع أنّ سلفهم فعلوا ما فعلوا من قتل يحيى (ع) وغيره. منه.

٦. تفسير الصافي، ج ١، ص ٢٢.

أخطأ»،^١ وعنهم عليه السلام: «إن تفسير القرآن لا يجوز إلّا بالأثر الصحيح والنصّ الصريح»،^٢ فكيف التوفيق .

قلت : يمكن الجمع بما حققه الفيض - رحمه الله - في المقدمة الخامسة من مقدمات الصافي . وحاصل المراد أنّ تفسيره يؤخذ عن محالّ العلم^٣ لأن أعدائهم عليهم السلام الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة^٤ وقد رأيت في بعض الكتب حديثاً في تفسير سورة القدر عن أمير المؤمنين عليه السلام بعد أن طلبه السائل من أعدائه الكفر والفسوق والعصيان ، من تأمل فيه قرّت عينه .^٥

هداية

قد علمت ممّا أسلفناه أنّ لكلّ آية ظهراً وبطناً ، تفسيراً وتأويلاً ، فلهذه الآية الشريفة أعني آية النور ظهر وبطن ، فلا بدّ أن نبين كلّاً منهما ، ولكلّ منهما بيان إجمالي وبيان تفصيلي ، فنعقد لها أربعة مقامات :

المقام الأوّل

في تفسيرها على سبيل الإجمال

فالمشكاة في الآية قيل : هي الكوة غير النافذة على لغة الحبشة^٦ وقيل : هي الأنبوبة في وسط القنديل يجعل فيها الفتيلة .^٧

والمصباح السراج الضخم الثاقب . الزجاجه يراد بها القنديل من الزجاج ، فقوله : **﴿كمشكاة فيها مصباح﴾** أي كمصباح في زجاجة كما في مجمع البحرين .^٨ أقول : ظاهر الآية يحتمل وجهين :

١ . تفسير الصافي ، ج ١ ، ص ١٠ .

٢ . نفس المصدر ، ص ٣٢ .

٣ . نفس المصدر .

٤ . آل عمران (٣) : ٧ .

٥ . نفس المصدر ، ج ٥ ، ص ٣٥١ .

٦ . تفسير البحر المحيط ، ج ٦ ، ص ٤٠٩ .

٧ . التفسير الكبير للرازي ، ج ٢٣ ، ص ٢٣٥ .

٨ . مجمع البحرين ، ج ٢ ، ص ٢٦٩ ، مادة زج ج .

أحدهما: أن يكون المراد تمثيل النور بالمشكاة المتّصّفة بكذا وكذا كما هو مقتضى ظاهر التشبيه، فيمكن أن يكون وجه التمثيل انتشار النور وبسطه وإحاطته الكلّية كما في الكوة، أو خفائه عن الأبصار كما في الكوة، فإنّه - تعالى - غيب الغيوب وهو الباطن في عين الظهور كما في الحديث القدسي «كنت كنزاً مخفياً»^١ إلى آخره.



وثانيهما: أن يكون المراد تمثيل النور بمصباح في زجاجة هي في مشكاة، فوجه الشبه إمّا الخفاء كما مرّ وإمّا الزينة والنباهة، فإنّ السراج إنّما يتزيّن في الأنظار إذا كان في الزجاج الذي هو أصفى الجواهر، فإنّ المصباح فيه أضوء كما ذكره في مجمع البيان^٢ سيّما إذا كانت الزجاجاة في المشكاة، فإنّ المصباح إذا كان في مكان متضايق كالمشكاة كان أضوء له و أجمع لنوره بخلاف المكان الواسع، فإنّ الضوء ينبث فيه وينتشر وكذلك نور البصر إذا لم ينتشر كان أكثر عوناً على الإبصار. ولذا لولدت إلى صورة منقوشة في ثقبه ضيقة وأحدقت النظر لترى المنقوش كأنه مجسم، فالمصباح في الزجاجاة أضوء سيّما إذا أعين بدهن صاف مثل الزيت بل يرى مختلف اللون إذا نظر إليها في مرايا وزجاجات متلوّنة ما.

و بالجملّة الزجاجاة تحكي الأنوار والألوان ألطف حكاية، بل ربّما يشبه الحاكي بالمحكي عنه كما في الصرح الذي بناه سليمان بن داود عليه السلام الذي حكاه الله - تعالى - بقوله: ﴿قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقها قال إنّ صرح ممرّد من قوارير﴾^٣؛ روي أنّه أمر قبل قدوم بلقيس فبنى قصر صحنه من زجاج أبيض وهو كهيئة السطح وأجرى من تحته الماء وألقى فيه حيوانات البحر ووضع سريره في صدره، فجلس عليه، فلما أبصرته ظنّته ماءً راكداً، فكشفت عن ساقها، كذا في البيضاوي^٤.

وفي الصافي:

عن القميّ وكان [سليمان عليه السلام] قد أمر أن يتخذ لها بيتاً من قوارير ووضع على الماء، ثمّ قيل لها: ادخلي الصرح وظنّت أنّه ماء فرفعت ثوبها وأبدت ساقها، فإذا عليها شعر كثير، فقيل لها إنّ صرح ممرّد من قوارير.^٥

وفي المجمع:

١. كشف الخفاء للعجلوني، ج ٢، ص ١٣٢، ح ٢٠١٦.

٢. مجمع البيان، ج ٤، ص ١٤٣.

٣. النمل (٢٧): ٤٤.

٤. تفسير البيضاوي، ج ٢، ص ٧٧٠، ذيل سورة النمل (٢٧): ٤٤.

٥. تفسير القميّ، ج ٢، ص ١٢٨؛ تفسير الصافي، ج ٤، ص ٦٨.



وإنّما أمر سليمان بالصرح؛ لأنه أراد أن يختبر عقلها وينظر هل تستدلّ على معرفة الله تعالى بما ترى من هذه الآية العظيمة. وقيل:

«إنّ الجنّ و[الجنّ] الشياطين خافت أن يتزوَّجها سليمان، فلا ينفكون عن تسخير سليمان وذرّيته بعده لو تزوّجها وذلك أنّ أمّها كانت جنيّة فأساؤا الثناء عليها ليزهدوه فيها وقالوا: إنّ في عقلها شيئاً وإنّ رجلها كحافر الحمار، فلمّا امتحن ذلك وجدها على خلاف ما قيل. انتهى.^١

وفي الكشف:

وإنّما فعل ذلك ليزيدها استعظاماً لأمره وتحققاً لنبوته وثباتاً على الدين وزعموا أنّ الجنّ كرهوا أن يتزوَّجها، فتفضي إليه بأسرارهم؛ لأنّها كانت بنت جنيّة. وقيل: خافوا أن يولد له منها ولد تجتمع له فطنة الجنّ والإنس، فيخرجون من ملك سليمان إلى ملك هو أشدّ وأفزع فقالوا: إنّ في عقلها شيئاً وهي شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار، فاختر عقلها بتكبير العرش وأخذ الصرح ليتعرّف ساقها ورجلها - إلى آخر كلامه -.^٢

فكيف كان فلا بدّ من حصول مقصوده من أن يكون حكاية الزجاجه بحيث يحصل بها الاشتباه كما لا يخفى. وإن أردت أن تتصوّر الزينة باستقرار النور من وراء الجسم الشفاف فانظر إلى الأفلاك فإنّها في غاية الزينة. قال - تعالى -: ﴿ولقد جعلنا في السماء بروجاً وزيّناها للنّاظرين﴾^٣ وقال - تعالى -: ﴿وزيّنّا السماء الدنيا بمصايب﴾^٤ الآية، وقال - تعالى -: ﴿إنّا زيّنا السماء الدنيا بزينة الكواكب﴾^٥؛ فإنّ الكواكب غير القمر بأجمعها فوق فلك القمر بإجماع أهل الهيئة. ويرى من وراء الأفلاك والعناصر لكونها شقّافة كما قرّر في محلّه. وإن استشكل في شقّافة فلك الأفلاك وكثرة الماء لكونها مرئيّة. وأمّا النار الشقّافة، فهي النار البسيطة المماسّة بمقعر فلك القمر، وأمّا النار المضيئة التي بيّنا فقد نصّ ابن سينا في الشفاء على عدم شقّافتها لحجبها ما ورائها، ولأنّها يقع منها ظلّ كما في أظلال المصباح عن مصباح آخر وما ذلك إلّا لمنعه نفوذ الشعاع المصباحي. قال في الإشارات: «أصول الشعلة حيث النار

١. مجمع البيان، ج ٤، ٣٢٤؛ بحار الأنوار، ج ١٤، ص ١٢٦، كتاب النبوة، باب قصته (ع) مع بلقيس.

٢. الكشف، ج ٣، ص ٣٧.

٣. الحجر (١٥): ١٦.

٤. الملك (٦٧): ٥.

٥. الصفات (٣٧): ٦.

قوية هي شقافة لا يقع لها ظل^١ انتهى .

وها هنا إشكال مشهور لا بأس بالتعرض لذكره والجواب عنه وهو أن الآيات القرآنية تدلّ على أن كل الكواكب أو أكثرها في السماء الدنيا وهي خلاف ما اتفق عليه أهل الهيئة . وأجيب عنه بوجوه :

الأول: أن النسبة إليها أنه لما كانت ترى منها وكانت زينة لها كما في السراج المرئي خلف الزجاج [زينة لها]، أو لأنه بحسب الحسّ يتوهم أنّها فيها فهي زينة لها، كذا ذكره البيضاوي^٢.

الثاني: ما ذكره الرازي في تفسيره وهو :

أنه لا يبعد وجود كرة تحت كرة القمر، وتكون في البطاء مساوية لكرة الثوابت، وتكون الكواكب المركوزة فيما يقارن القطبين مركوزة في هذه الكرة السفلية^٣.

الثالث: ما ذكره المجلسي - رحمه الله - في البحار

وهو أن يكون جميع الأفلاك الثمانية التي أثبتوها لجميع الكواكب فلماً واحداً مسمّى بالسماء الدنيا، وتكون غيرها ستة سماوات أخر غير مكوكبة كما يعدون الأفلاك الجزئية فلماً واحداً وقد ذهب بليناس الحكيم في كتاب علل الأشياء إلى أن الثوابت في فلك القمر^٤.

الرابع: أن يكون المراد بالكواكب [في الآية الكريمة] الشهب المنقضة قريباً منها، ولما كانت ترى حساً على سطح السماء فهي زينة لها، ويؤيده تيمّة الآية .

الخامس: أن يكون المراد بالدنيا الدنو من الناحية العليا والعرش الأعلى على سياق قوله تعالى: ﴿ثمّ دنى فتدلّى﴾^٥

السادس: ما سنح بخاطري الفاتر وهو أن يكون المراد الدنيا من الدنائة أو الدنوب بحسب أنظارنا وفي السماء جنس العالم العلوي كما في قوله - تعالى - : ﴿والسمااء بنيناها بأيدي﴾ الآية^٦، وقوله - تعالى - : ﴿وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً﴾^٧، وقوله - تعالى - : ﴿يوم نطوي

١ . الإشارات والتنبهات، ج ٢، ص ٢٨٣، الفصل السادس والعشرون من النمط الثاني .

٢ . راجع أنوار التنزيل... (تفسير البيضاوي) ج ٢، ص ٨٧٨، ذيل سورة الصافات (٣٧) : ٦ .

٣ . التفسير الكبير للفخر الرازي، ج ٣٠، ص ٦٠، ذيل سورة الملك .

٤ . بحار الأنوار، ج ٥٥، ص ٧٨، كتاب السماء و العالم، باب ٨ .

٥ . النجم (٥٣) : ٨ . راجع نفس المصدر والباب، ص ٧٤-٧٩، فإن المنصف ذكر ما في البحار من الأقوال ملخصاً .

٦ . الذاريات (٥١) : ٤٧ .

٧ . الأنبياء (٢١) : ٣٢ .



السماء ﴿الآية ١﴾ ولعلّه يشير إلى هذا المعنى قوله - تعالى - : ﴿ذلك تقدير العزيز العليم﴾^١، وقوله : ﴿فاستفتهم أهم أشدّ خلقاً أم من خلقنا﴾^٢ فتأمل فيه فليرجع إلى تفسير الآية .
قوله - تعالى - : «زيتونة» ، خصّ شجرة الزيتون ؛ لأنّ فيها أنواع المنافع ، فإنّ الزيت يسرج به وهو أدام ودهان ودباغ وتوقد بحطبه وثقله ويغسل برماده الإبريسم ولا يحتاج في استخراج دهنه إلى إعصار .

وقيل : خصّ الزيتون ؛ لأنّ دهنها أصفى وأضوء . وقيل : لأنّها أول شجرة نبتت بعد الطوفان ، ومنبتها منزل الأنبياء وهي الأرض التي بارك الله فيها للعالمين . وقيل : إنّه بارك فيها سبعون نبياً منهم إبراهيم ، فلذلك سمّيت مباركة كذا في مجمع البيان^٤ وقال الله - تعالى - فيها : ﴿وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للاكلين﴾^٥ . وفي الكشّاف عن النبي ﷺ : «عليكم بهذه الشجرة زيت الزيتون فتداواوا به فإنّه مصحّة من الباسور»^٦ .
قوله - تعالى - : ﴿لا شرقية ولا غربية﴾

أي منبتها الشام ، وأجود الزيتون زيتون الشام . وقيل : لا في مضحى ولا مقنأة^٧ ولكنّ الشمس والظلّ يتعاقبان عليها وذلك أجود لحملها وأصفى لدهنها . قال رسول الله ﷺ :
«لا خير في شجرة في مقنأة ولا نبات في مقنأة ولا خير في مضحى»^٨ .
وقيل : ليست ممّا تطلع عليه الشمس في وقت شروقها أو غروبها فقط ، بل يصيبها بالغداة والعشي جميعاً .

كذا في الكشّاف ، ويقرب منه ما في المجمع^٩ وفي عيون الأخبار عن الرضا عليه السلام عن آبائه ؛^{١٠}
عن علي عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : «عليك بالزيت ، فكله وأدهن به ، فإنّ من أكله وأدهن

١ . الأنبياء (٢١) : ١٠٤ .

٢ . فصلت (٤١) : ١٢ .

٣ . الصفات (٣٧) : ١١ .

٤ . راجع مجمع البيان ، ج ٤ ، ص ١٤٣ .

٥ . المؤمنون (٢٣) : ٢٠ .

٦ . تخريج الأحاديث والآثار ، ج ٢ ، ص ٤٤٦ ؛ الجامع الصغير للسيوطي ، ج ٢ ، ص ١٧٥ ؛ الكشّاف ، ج ٣ ، ص ٢٤١ .

٧ . أرض مضحاة : معرضة للشمس أو لا يكاد تغيب عنها الشمس . و المقنأة والمقنوة : الموضع الذي لا تطلع عليه الشمس . [النهاية ، ج ٤ ، ص ١١١]

٨ . تخريج الأحاديث والآثار ، ج ٢ ، ص ٤٤٦ ، ح ٨٨٧ .

٩ . الكشّاف ، ج ٣ ، ص ٢٤١ . وراجع مجمع البيان ، ج ٤ ، ص ١٤٣ ، ذيل الآية .

١٠ . تفسير النسفي ، ج ٣ ، ص ١٤٨ .



به لم يقربه الشيطان أربعين يوماً»^١.

وفي السماء والعالم عنه ﷺ

عن آبائه قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالزيت فإنه يكشف المرة، ويذهب البلغم، ويشدّ

العصب، ويحسن الخلق، ويطيب النفس، ويذهب بالغم»^٢.

وقال الصادق ﷺ في حقّه: «هذا طعامنا وطعام الأنبياء»^٣.

وفي البحار عن المحاسن عن أمير المؤمنين ﷺ أنه قال: «أدهنوا بالزيت واتندموا به،

فإنه دهنه الأخيار وإدام المصطفين، مسحت بالقدس مرتين، بوركت مقبلة وبوركت مدبرة،

لا يضرّ معها داء»^٤.

قال المجلسي - رحمه الله - في بيان الحديث:

مسحت بالقدس مرتين أي وصفت بالطهارة والبركة والعظمة في موضعين من القرآن

في سورة النور وسورة التين، أو في المملل السابقة وفي هذه الملة. وأمّا قوله: «مقبلة و

مدبرة»، فلعلّ المعنى رطبة وجافة، أو صحيحة ومعتصرة منها الدهن، أو سواء كانت

موافقة للمزاج أو مخالفة. وقال بعض الأفاضل: لعلّ مسوحية الزيت بالقدس كناية

عن دعاء الأنبياء فيه بذلك، وإقبالها وإدبارها كناية عن وفورها وقيلتها. انتهى^٥.

وفي رواية: «انغمس في القدس مرتين»^٦ وعن الصادق ﷺ: «الزيت دهن الأبرار وطعام

الأخيار»^٧.

قال في السماء والعالم نقلاً عن البغدادي:

«إنه يكتحل بالعتيق من الزيت لحدّة البصر، والكحل بالمغسول المبيض يزيل بياض

العين الرقيق، وهو دواء شريف للعين إذا أديم استعماله حتى أنه يقوم مقام القدح في

العين عند نزول الماء خصوصاً إذا قطر في العين وحكت العين بطرف الميل»^٨.

١. عيون أخبار الرضا ﷺ، ج ١، ص ٤٦، ح ١٤١؛ بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ٦٦.

٢. بحار الأنوار، ج ٦٣، ص ١٧٩، ح ٣؛ الدعوات للراوندي، ص ١٤٧؛ عيون أخبار الرضا ﷺ، ج ١، ص ٣٩، ح ٨١.

٣. المحاسن، ج ٢، ص ٤٨٢؛ الكافي، ج ٦، ص ٣٢٨، ح ٤.

٤. بحار الأنوار، نفس المصدر، ص ١٨٢؛ المحاسن، ج ٢، ص ٤٨٤، ح ٥٣١.

٥. بحار الأنوار، ج ٦٣، ص ١٨٢.

٦. المحاسن، ج ٢، ص ٤٨٥، ح ٥٣٦.

٧. الكافي، ج ٦، ص ٣٣٢، ح ٦.

٨. بحار الأنوار، ج ٦٣، ص ١٨٤، نقلاً عن البغدادي.

ونقل عن بحر الجواهر :

«أنه يقوي الأعضاء، ويعين على جبر ما انكسر منها ويحفظ الشعر ويمنع سرعة الشيب ويشدّ الأسنان»^١.

أقول : الزيت المغسول هو الذي يضرب في الماء العذب ويؤخذ عنه . وبالجملة فضل الزيتون والزيت كثير ويكفي فيه أن الله - تعالى - أقسم بالزيتون في قوله - تعالى - : ﴿والزيتون والزيتون﴾ الآية^٢.

قال في الصافي :

« قيل : خصّهما من الثمار بالقسم ؛ لأنّ التين فاكهة طيبة لا فضلة له وغذاء لطيف سريع الهضم ، ودواء كثير النفع ، فإنّه يلين الطبع ويحلّل البلغم ويطهر الكلّيتين ويزيل رمل المثانة ويفتح سدّة الكبد والطحال ويسمن البدن . وفي الحديث أنّه يقطع البواسير و ينفع من النقرس والزيتون فاكهة وأدام ودواء وله دهن لطيف كثير المنافع»^٣.
وقال في مجمع البيان :

« وإنما أقسم بالتين ؛ لأنّه فاكهة مخلصة من شوائب التنغيص ، وفيه أعظم العبرة ؛ لأنّه - عزّ اسمه - جعلها على مقدار اللقمة ، وهيئها على تلك الصفة إنعاماً على عباده بها . وقد روى أبو ذرّ أنّ النبي ﷺ قال في التين : لو قلت إنّ فاكهة نزلت من الجنّة لقلت هذه هي ؛ لأنّ فاكهة الجنّة بلا عجم» . الحديث والمشار إليه هو التين .

وفي الخصال والمعاني عن الكاظم عليه السلام قال : « قال رسول الله ﷺ : إنّ الله - تبارك وتعالى - اختار من البلدان أربعة ، فقال تعالى : ﴿والزيتون والزيتون﴾ وطور سينين * وهذا البلد الأمين ﴿٥﴾ فالتين المدينة ، والزيتون البيت المقدّس ، وطور سينين الكوفة ، وهذا البلد الأمين مكّة»^٤ .
والقمي قال :

«التين رسول الله ﷺ ، والزيتون أمير المؤمنين ، وطور سينين الحسن والحسين عليهما السلام ، وهذا

البلد الأمين الأئمة عليهم السلام»^٥.

١ . نفس المصدر ، نقلاً عن بحر الجواهر .

٢ . التين (٩٥) : ١ .

٣ . تفسير الصافي ، ج ٥ ، ص ٣٤٦ ؛ تفسير البيضاوي ، ج ٢ ، ص ١١٦١ .

٤ . مجمع البيان ، ج ٥ ، ص ٥١٠ ؛ زاد المسير لابن الجوزي ، ج ٥ ، ص ٥١٠ .

٥ . التين (٩٥) : ٣-١ .

٦ . الخصال ، ص ٢٢٥ ؛ معاني الأخبار ، ص ٣٦٥ ؛ روضة الواعظين ، ص ٤٠٥ .

٧ . تفسير القمي ، ج ٢ ، ص ٤٢٩ .

وفي المناقب عن الكاظم عليه السلام :

«**والتين والزيتون** الحسن والحسين ، **وطور سينين** علي بن أبي طالب ، وهذا البلد الأمين **محمد**»^١

ووجه تفسير الحسين عليه السلام بالتين والزيتون ظاهر ، فإنهما أفضل الناس ولهما فوائد عظيمة في الأمة على الخلائق أجمعين . أفعال كل منهما مصالح عديدة وصلاح الحسن عليه السلام كحرب الحسين عليه السلام وكثرة النفقة . وقد ورد أنهما إمامان قاما أو قعدا - صلوات الله عليهما^٢ - قوله تعالى : **يكاد زيتها يضيء** أي لكثرة صفاتها



تمثيل إرشادي

شبه بعضهم إضاءة الزيت بدون مس النار بتأثير العين ، فإن الروح تتأثر بملائمات و منافرات حتى أنها تؤثر في الظاهر بالجوارح بطريق المباشرة كما أنه يقتل بسبب الغضب و يلمس رأس السم بسبب الرحمة بالجوارح ، وربما كانت الصفات بحيث تؤثر بدون مباشرة الجوارح لشدة استعداد التأثير كما في تأثير العين بسبب استعجاب الأمور ، فيؤثر بدون أن يباشر الجارحة واختلفوا في أنه هل يكون لإصابة العين تحقق أم لا ، بل هي محض تخيل . فالجبائي^٣ أنكر هذا المعنى إنكاراً بليغاً ولم يذكر في إنكاره شبهة فضلاً عن حجة . وأمّا الذين اعترفوا به فقد ذكروا فيه وجوهاً :

الأول : قال الجاحظ : يمتد من العين أجزاء ، فتتصل بالشخص المستحسن ، فيؤثر و تسري فيه كتأثير اللسع والسم والنار .

واعترض عليه بالنقض بعدم التأثير في غير المستحسن ، وضعف الاعتراض ظاهر ، و ذلك أن المستحسن إما أن يجب بقاء المستحسن كملك نفسه ، فيخاف من زواله ، و الخوف يوجب انحصار الروح في داخل القلب ، ويحصل في الباصرة سخونة ، وكذا

١ . بحار الأنوار ، ج ٢٤ ، ص ١٠٥ ، ح ١٥ نقلًا عن كنز جامع الفوائد و تأويل الآيات الظاهرة ؛ والروايات الثلاثة الأخيرة مذكورة في تفسير الصافي ، ج ٥ ، ص ٣٤٦ .
٢ . عوالي اللئالي ، ج ٣ ، ص ١٣٠ ، ح ١٤ .
٣ . من هنا ذكر المصنف خلاصة الآراء التي نقلها المجلسي في تأثير العين وأنه حق ، راجع بحار الأنوار ، ج ٦٠ ، ص ٩-٣٤ ؛ وكذا ذكر في تفسير روح المعاني للكلوسي ، ج ٧ ، ص ١٧ و ١٨ وفي ذيل سورة يوسف (١٢) : ٧٨-٥٢ .

إذا أحبّ زوال المستحسن كالحاسد بسبب شدة الحزن بخلاف ما إذا لم يستحسن ، فإنه لا يحصل السخونة في شعاع العين ، ولذا أمر النبي ﷺ العاين بالوضوء ومن أصابته العين بالاعتسال وأورد عليه بأنه يلزم التأثير فيما إذا عاين شيئاً واستحسن شيئاً آخر . الثاني : قال أبو هاشم وأبو القاسم البلخي : لا يمتنع أن يكون العين حقاً ويكون معناه أن صاحب العين إذا شاهد الشيء وأعجب به استحساناً كانت المصلحة له في تكليفه أن يغيّر الله ذلك الشيء حتّى لا يبقى قلب ذلك المكلف متعلقاً به ، ولا يبعد أيضاً أنه لو ذكر ربه عند تلك الحالة وسأل ربه فعندها تتغير المصلحة .

الثالث : قول الحكماء قالوا : هذا مبني على مقدّمة وهي أنه ليس من شرط المؤثر أن يكون تأثيره بحسب هذه الكيفيات المحسوسة أعني الحرارة والرطوبة ومقابلتهما ، بل قد يكون التأثير نفسانياً محضاً ولا تكون للقوى الجسمانية تعلق به ، والذي يدلّ عليه أن اللوح الذي يكون قليل العرض إذا كان موضوعاً على الأرض قدر الإنسان على المشي عليه بخلاف ما إذا كان موضوعاً بين جدارين ، فخوف السقوط يوجب السقوط . وأيضاً إذا تصوّر الإنسان كون فلان مودياً له حصل في قلبه سخونة من الغضب ومبدؤها التصوّر النفساني ، ولأنّ مبدأ الحركات البدنية ليس إلّا التصورات النفسانية .^١

ولمّا ثبت أنّ تصوّر النفس يوجب تغيير بدنه الخاص لم يبعد أن يكون بعض النفوس تتعدى تأثيرها إلى سائر الأبدان . وأيضاً جواهر النفوس مختلفة بالماهية ، فلا يبعد كون بعضها كذلك . وقال ابن حجر في فتح الباري : «إنّه يكون من سمّ يصل من عين العائن في الهواء إلى بدن المعيون» .^٢

وقال بعضهم : «إنّ جواهر خفية تنبعث من العاين فتتصل بالمعيون وتتخلل مسام جسمه ، فيخلق الباري الهلاك عندها كما في شرب السموم» .^٣ وقد بالغ ابن العربي في إنكاره وردّ وجه الحكماء بعدم الإطراد وقول القائلين بكونه كالسمّ بأنّ سمّ الأفعى جزء منها وليس في الإنسان سمّ . وقيل : إنّ نوعاً من الأفاعي اشتهر أنّها إذا وقع بصرها على الإنسان هلك .^٤

١ . تفسير روح المعاني للآلوسي .

٢ . فتح الباري ، ج ١٠ ، ص ١٦٩ .

٣ . نفس المصدر .

٤ . إلى هنا انتهى خلاصة ما في البحار ، ج ٦٠ ، ص ٩-٣٤ .



وكيفية تأثير سمّ الأفعى في عصا الفارسي وتجاوزه منها إلى بدنه وبدن فرسه مشهور منقول عن عجائب المخلوقات .

ومما مثل به تأثير العين حصول الحمرة في وجه يخجل بمجرد نظر من يحتشمه في وجهه وكذا الإصفرار في وجه الخائف والذي يخرج من عين العاين سهم معنوي يؤثر مع عدم الجنته والوقاية ولا يؤثر معها كالسهم الظاهري . والحق أنّ العين حق^١ .

وروي عن النبي ﷺ : «أنّ العين حقّ وأنها تدخل الجمل والثورفي التنور» .^٢ وروي عنه ﷺ قال : «العين حقّ ولو كان شيء يسبق القدر لسبقت العين القدر» .^٣ وروي عنه ﷺ أنه قال : «العين حقّ تستنزل الحالق» ، والحالق المكان المرتفع في الجبل .^٤

ورود أنّ جبرئيل نزل على النبي ﷺ فرأاه مغتماً فسأله عن غمّه فقال ﷺ :

«إنّ الحسينين ﷺ أصابتهما عين ، فقال له : يا محمد العين حقّ ، فعوذتهما بهذه العوذة وذكرها» . وفي الحديث أنّه كان يعوذهما بقوله : «أعيدكما بكلمات الله التامة من كلّ شيطان هامة ومن كلّ عين لامة» .^٥

وروي أنّ جبرئيل رقا رسول الله ﷺ وعلمه الرقية وهي «بسم الله أرقيك من كلّ عين حاسد ، الله يشفيك» .^٦

وروي أنّه كثيراً ما يعوذهما بالمعوذتين . وروي أنّ الغضباء - ناقة النبي ﷺ - لم تكن تسبق ، فجاء أعرابي على قعوده فسابق بها فسبقها ، فشقّ ذلك على الصحابة ، فقال النبي ﷺ : «حقّ على الله أن لا يرفع شيئاً من الدنيا إلّا وضعه» .^٧

وروي عن النبي ﷺ أنه قال :

«من رأى شيئاً يعجبه فقال : الله الصمد ما شاء الله لا قوة إلّا بالله ، لم يضر شيئاً» .^٨

وقد ذهب أكثر المتقدّمين من المفسّرين أنّ قوله - تعالى - حكاية عن يعقوب : ﴿يا بني

١ . بحار الأنوار ، ج ٦٠ ، ص ٣٤ .

٢ . بحار الأنوار ، ج ٦٠ ، ص ١٧ ، ح ٣ .

٣ . نفس المصدر ، ص ٩ .

٤ . نفس المصدر ، ج ٦٠ ، ص ٦ .

٥ . المجتنى من دعاء المجتبي لابن طاووس ، ص ٩٣ ؛ وراجع كنز العمال ، ج ١٠ ، ص ١٠٨ .

٦ . الأملاني للطوسي ، ص ٦٣٨ ، ح ١٣١٦ / ٢ ، بحار الأنوار ، ج ٦٠ ، ص ٧ .

٧ . بحار الأنوار ، ج ٦٠ ، ص ١٤ .

٨ . المصباح للكفعمي ، ص ٢٢٠ ؛ بحار الأنوار ، ج ٦٠ ، ص ١٤ .

لا تدخلوا من باب واحد^١ المراد من الخوف [الخوف] من العين؛ لأن أولاد يعقوب كانوا ذوي جمال وكلهم أولاد رجل واحد^٢.

ونقل عن بعض من كان معياناً أنه قال: إذا رأيت شيئاً يعجبني وجدت حرارة تخرج من عيني، قيل: ويقرب ذلك بالمرأة الحائض تضع يدها في إناء اللبن، فيفسد ولو وضعها بعد طهرها لم يفسد^٣.

ونقل عن السيد الرضي - رحمه الله - أنه روي عنه عليه السلام ما يدل على أن الشيء إذا عظم قدره في صدور الناس ومن الله قدره وصغر أمره ومن هذا القبيل تغيير الأشياء بالعين^٤.

أقول: في إصابة العين ينقل حكايات عجيبة، ففي السماء والعالم أن رجلاً عياناً^٥ رأى رجلاً راكباً، فقال: ما أحسنه، فسقطت الدابة وماتت ومات الرجل.

ونقل رجل أنه قال: كان لي أكار رديء العين، فأبصر بيدي خاتماً، فقال: ما أحسنه، فسقط الفص، فحملته، فقال: ما أحسنه، فانشق بنصفين.

وعن الأصمعي قال: كان عندنا عيانان، فمر أحدهما بحوض من حجارة، فقال: بالله ما رأيت كالיום مثله، فانصدع فلقيين، فضرب بحديد، فمر [عليه] ثانياً فقال: لعلك ما ضررت أهلك فيك، فتطير أربع فلقات. وسمع الثاني صوت بول من وراء الحائط، فقال: إنك لشر شخب، فقيل: هو ابنك، فقال: وا انقطع ظهره والله لا يبول بعدها، فمات من ساعته^٦. وأصابة عين أبي فلان الأول في عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين مروى^٧ قال تعالى: ﴿ولقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم﴾ الآية^٨.

ويحكى أن الخليل بن أحمد سئل أعلي أفضل أم فلان؟ قال في حنين: عان أبو فلان و أعان علي عليه السلام أراد أن زيادة المباني تدل على زيادة المعاني.

تمثيل آخر: يمكن تشبيهه إضاءة الزيت بدون النار بالحديدة المحممة التي تفعل فعل النار

١. يوسف (١٢): ٦٧.

٢. راجع مجمع البيان، ج ٣، ص ٢٤٩ ذيل الآية؛ وبحار الأنوار، ج ٦٠، ص ٦.

٣. نفس المصدر، ج ٦٠، ص ٣٢ و ٣٣.

٤. نفس المصدر، ج ٦٠، ص ٧؛ المجازات النبوية للرضي، ج ١، ص ٣٧١.

٥. العيان - بتشديد الياء - : الشديد الإصابة بالعين .

٦. الأكار: الحرات، والجمع «الأكرة» .

٧. بحار الأنوار، ج ٦٠، ص ١٧ وكذا قبله وفيه «انقطاع» بدل «انقطع» .

٨. بحار الأنوار، ج ٢١، ص ١٥٥؛ تفسير الصافي، ج ٢، ص ٣٣٠؛ نور الثقلين، ج ٢، ص ٢٠١.

٩. التوبة (٩): ٢٥.

ولو لم تمسسه نار ومنها قال في المثنوي :

ز آتش می لافد و آتش و شست
رنگ آهن محو رنگ آتش است
چون سرخی گشت همچون نارکان
پس أنا النار است لافش بی زبان^۱
شد ز رنگ و طبع آتش محتشم
گوید او من آتشم من آتشم^۲



إضاءة مشرقية

ذكروا أنّ الشعلة المرئية السراجية مركبة من ماهية ووجود، فوجودها الذي هو مادتها أثر فعل النار الصادر من تأثير فعل النار الذي هو الحرارة واليبوسة الفعليتان العرضيتان، وأثر فعل النار استضاءة الدخان وماهيتها التي هي صورتها انفعال ذلك الدخان بالاستضاءة؛ لأنّ دهن السراج كالزيت لما قربت منه النار حرقتة وكلّسته حتّى كانت دخاناً، فبمسّ النار ينفعل عنها، فأصل النار غائبة عن الإدراك والحرارة المدركة تأثير فعلها والاستضاءة أثر التأثير ومحلّ الاستضاءة الدخان وكيفية ظهور شعلة من النار أي أنّ النار لما كلّست الدهن حتّى كانت دخاناً بحرارتها اشتعلت فيه، فاستنار الدخان باشتعالها فيه كاستنارة الأرض والجدار بانساط الشمس عليها، فالكثافة الدخانية هي القابلية للاستنارة باشتعال النار فيها، والاشتعال الذي هو مسّ النار هو ظهور تأثير فعلها في الدخان الذي به القابلية بالأثر الظاهر أي ظهور التأثير بالأثر، فالأثر هو النور الظاهر القائم بالدخان، والدخان المستمدّ من الدهن هو محلّ الاستضاءة؛ لأنّه هو المستضيء عن تأثير فعل النار وتكليس له والدخان ليس أثراً للنار ولا لفعلها بل هو من الدهن، فلما كلّسه فعل النار حتّى صار دخاناً انفعال بالضياء عن تأثير ذلك الفعل فيه، وتكليس له، وأمّا الاستضاءة فهي مفعول النار ولكن النار لا تفعل بنفسها بل بفعلها، وأمّا الشعلة المرئية فهي عبارة عن ظهور النار، فإنّ النار لا تظهر بذاتها بل ظهورها بها وليست النار العينية الجوهرية في الشعلة على جهة الحلول ولاخارجة عنه على نحو العزلة. وأمّا الحرارة واليبوسة العرضيتان فهما متعلقتان بالشعلة تعلق المؤثر بأثره الصدوري، وفعل النار الجوهرية هو التكليس والإحراق والإضاءة وأثر الفعل هو الإضاءة وهو المسّ المذكور في قوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾.

۱. نفس المصدر، ج ٦٠، ص ٧؛ المجازات النبوية للرضي، ج ١، ص ٣٧١.

۲. مثنوي معنوي، دفتر دوم، فرمودن آن والی آن مرد را... بیت ۱۲۲. فيه هكذا: ...زآتش می لافد و خامش و شست چون به سرخی گشت همچون زرکان پس أنا النار است لافش بی زبان.

نكتة لطيفة

من التأمل في بعض ما ذكرناه يظهر معنى ما روى بعضهم من أن المؤمن إنما يحسّ بألم النار إذا خرج منها أما فيها فلا .

المقام الثاني

تفسير الآية على سبيل التفصيل

فنقول : ارتباط هذه الآية بسابقه من قبيل ارتباط المثل بالمثل . واختلفوا في لفظ «اللّه» هل هو علم أو صفة ، وبعبارة أخرى جامد أو مشتقّ ، فالمختار عند جماعة من النحاة كالخليل وعند أكثر الأصوليين والفقهاء أن لفظ الجلالة ليس بمشتقّ ، بل هو علم له .^١ أو استدلوا عليه بوجوه :

منها : أنه لو كان مشتقاً لكان معناه كلياً ، فلا يكون قولنا : « لا إله إلا الله » موجباً للتوحيد . ومنها : أن الترتيب العقلي يقتضي ذكر الذات ، ثم الصفات ، ونحن نقول : اللّه الرحمن الرحيم ، ولا نقول بالعكس .

ومنها : أنه - تعالى - يوصف بصفات مخصوصة ، فلا بدّ له من اسم خاصّ يجري عليه ، إذ الموصوف إما أخصّ أو مساو للصفة .

وذهب بعضهم إلى الاشتقاق ومنع العلمية لوجوه :

منها : قوله تعالى : ﴿ وهو اللّه في السموات والأرض ﴾ ، إذ لو كان علماً لم يتعلّق به الظرف . وردّ بأنه مؤوّل بالمشتقّ كالمعبود بالحقّ كما في قوله : أسد عليّ .

ومنها : أن الإشارة والتصوّر ممتنع في حقّه ، فالعلمية ممتنعة .

ومنها : أن العلم للتمييز ولا مشارك له ، فلا يحتاج إلى التمييز .

وقال بعض المحقّقين في شرح آية الكرسي ما حاصله :

«إنّ الحقّ أنّ وضع الاسم المخصوص للذات الأحديّة [والهويّة الغيبية] مع قطع النظر عن النسب والإضافات غير متصوّر أصلاً ، لا لأنّ ذاته غير معقول للبشر لاحتمال كونه - تعالى - واضعاً له ، بل لأنّ الغرض من وضع الألفاظ والنقوش الكتابية ليس إلّا الدلالة على المعاني الذهنية الدالة على الحقائق الخارجيّة ، إذ لو كانت الحقيقة بنحو وجودها



الخارجي حاضرة سقط اعتبار اللفظ، بل لا حاجة إلى إشارة لحصول المشاهدة. ولمّا لم يتصوّر لحقيقة الباري - تعالى - صورة ذهنية مطابقة له فلا اسم له أيضاً، فلا فائدة في الألفاظ بالنسبة إلى إدراك ذاته - تعالى - قبل مرتبة الشهود وكذا بعده لفناء الأثر بالكلية كما قال:



ابن مدعيان در طلبش بی خبرانند
كان را كه خير شد خبرى باز نيامد^١

ومن هنا تبين أنّ التحقيق أنّ وضع الألفاظ للصور الذهنية لا للأعيان الخارجية. وممّا يؤكده أنه قرّر في محله أن لا سبيل للعلم بأنحاء الوجودات الخارجية إلّا بالحضور العيني. وقد ذكر بعض المحقّقين على أنّ أقسام الأسماء الواقعة على المسمّيات تسعة:

أولها: اسم الشيء بحسب ذاته كزيد. والثاني: اسمه بحسب جزئه كالحيوان على الإنسان. والثالث: بحسب صفة حقيقية قائمة بذاته كالأسود. والرابع: بصفة إضافية كالمالك والمملوك. والخامس: بصفة سلبية كالجاهل والأعمى. والسادس: بصفة حقيقية مع إضافة كالعالم والقادر. والسابع: بصفة حقيقية مع صفة سلبية كإطلاق الجوهر بمعنى الموجود لا في موضوع على ما له وجود زائد على الماهية. والتاسع: كذلك مع إضافته.

وإطلاق لفظ «الله» من القسم الأول لا امتناع غيرها من الأقسام فيه. ويؤيّد أنه أشرف الأذكار وهو الاسم الأعظم، وشرف الذكر بشرف المسمّى، فيكون موضوعاً للذات.

وقال بعضهم: إنّ الشرفية لاستجماعه معنى جميع الصفات. وأمّا كونه الاسم الأعظم فالقائلون بأنّ الاسم الأعظم معلوم اختلفوا فيه، فمنهم من قال: هو ذو الجلال والإكرام.^٢ ومنهم من قال: إنّ الحي القيوم.^٣ ومنهم من قال: إنّ الله. وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: ﴿وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم﴾، وفاتحة سورة آل عمران: ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾». ^٤ ومنهم من قال: إنّ أسماء الله كلّها عظيمة.

والتحقيق عند بعض المحقّقين أنّ شرافة الاسم بشرافة المسمّى والمدلول وهي محتملة في كلّ من الأقوال على وجهه، واختلفوا أيضاً في أنّ اسم الله بل كلّ اسم عين ذات المسمّى

١. تفسير آية الكرسي لصدر المتألّهين، مجلة آفاق نور، ج ٩، ص ٧١؛ مشرق الشمسين للبهائي، ص ٣٩٦.

٢. بحار الأنوار، ج ٩٠، ص ٢٣٥؛ ح ٧؛ مسند أحمد، ج ٤، ص ١٧٧.

٣. تفسير الألوسي، ج ١، ص ٤١.

٤. سنن ابن ماجه، ج ٢، ص ١٢٦٧؛ سنن أبي داود، ج ١، ص ٣٣٥؛ ح ١٤٩٦؛ بحار الأنوار، ج ٩٠، ص ٢٢٦.

أو غيره، والأول منسوب إلى الأشاعرة والثاني إلى المعتزلة. وجزم بعضهم بأن البحث فيه لفظي، لكن الخطب فيه عظيم عند العرفاء، كيف ولا شك أن لفظ الأسد ليس حيواناً مفترساً ولا لفظ النار محرقاً وربما استدل على هذا الأمر الفطري بأن الاسم حاصل من أصوات غير قارة ومختلف باختلاف الأمم ومتعدّد تارة كالمترادفة ومتحدّ أخرى كالمشترك بخلاف المسمّى، وبأنهما متضايقان فهما متغايران، وبأن اللفظ عرض ممكن والمسمّى قد يكون جوهرًا بل واجباً وبقوله تعالى: ﴿تبارك اسم ربك﴾^١ وبقوله: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾، فيتبرك فيها بالاسم.

وللعرفاء ها هنا تحقيقات شافية أشار إليها صدر المتألّهين في شرح الآية بها ينحل سرّ ما ورد من أن «من عبد الاسم دون المسمّى فقد كفر» الحديث.^٢ وكذا تحقيق أنه هل يكون لمعنى اسم الله حدّ أم لا.^٣

واعلم أن كلّ من يعبد الله من العرفاء الخصيصين فمعبوده هو مسمّى اسم الله. وحكي، فيعبدونه من غير تقييد باسم خاصّ ولا نعت خاصّ، فيتجلّى لهم بجميع الأسماء وهم لا ينكرونه في جميع التجليات بخلاف المحجوب المقيد الذي ﴿يعبد الله على حرف، فإن أصابه خير اطمأن به﴾ إلى آخره.^٤ وذلك لاحتجابهم بالغواشي فيكفر بعضهم بعضاً وجميع الطرق بعيدة عن التوحيد متفرّعة عليه، ولذلك روي أن رسول الله ﷺ لما أراد أن يبيّن ذلك خطّ خطأ مستقيماً ثمّ خطّ من جانبها خطوطاً خارجة من ذلك الخطّ وجعله أصل الصراط المستقيم والخطوط الخارجة سبل الشيطان^٥ كما قال الله تعالى: ﴿وهذا صراط ربك مستقيماً﴾^٦ فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله^٧ قال تعالى: ﴿قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني﴾ الآية^٨ وقال تعالى: ﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن

١. الرحمن (٥٥): ٧٨.
٢. الكافي، ج ١، ص ٨٨، باب المعبود.
٣. تفسير آية الكرسي لصدر المتألّهين، مجلة آفاق نور، ج ٩، ص ٧٣.
٤. الحج (٢٢): ١١.
٥. السنن الكبرى للنسائي، ج ٦، ص ٣٤٣؛ المستدرک للحاكم، ج ٧، ص ٣٧٥، ذيل تفسير سورة الأنعام، مسند أحمد، ج ٨، ص ٤٦٣، و المصنّف نقل معني الرواية.
٦. الأنعام (٦): ١٢٦.
٧. الأنعام (٦): ١٥٣.
٨. يوسف (١٢): ١٠٨.



باللَّه فقد استمسك بالعروة الوثقى ﴿ الآية ١ .
واختلفوا في معنى الطاغوت على أقوال :^٢
أحدها : أنه الشيطان ، كذا روي عن الصادق عليه السلام وكذا مجاهد وقتادة .
ثانيها : أنه الكاهن ، عن سعيد بن جبير .
ثالثها : أنه مردة الجنّ والإنس وكلّ ما يطغى .
رابعها : أنه الساحر ، عن أبي العالية .
خامسها : أنه الأصنام وما عبد من دون الله .
سادسها : أنه عالم الهيولى ونشأة الدنيا الدنية .
سابعها : أنه جهة الإمكان وجهة الماهيات .
ثامنها : أنه القوّة الوهميّة التي هي أعظم جنود الشيطان .
تاسعها : أنه هوى النفس ، قال تعالى : ﴿ أرأيت من اتخذ إلهه هواه ﴾^٣ وروي عن النبي صلى الله عليه وآله
« ما عبد معبود في الأرض مثل الهوى »^٤
ومنشأ أقسام الكفر بالحقيقة هو الهوى ، فإن أردت معرفة أقسام الكفار وطبقاتهم فيبانهم
على سبيل الإجمال أنهم الذين اتخذوا إلهاً بمقتضى هواهم وأحبّوهم . قال - تعالى - : ﴿ ومن
الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبّونهم كحبّ الله ﴾ ، وقال - تعالى - حكاية عن إبراهيم :
﴿ واجنبي وبنى أن نعبد الأصنام ﴾ * ربّ إنهنّ أضللن كثيراً من الناس ﴾ ، فالكفار لا يعبدون
الله من حيث هو الله وإنّما يعبدون معتقداتهم فيما يتصورونه معبوداً لهم ، فهي أصنام في
الحقيقة ، بل الأصنام الخارجيّة إنّما عبدت لتعلّق الاعتقاد العقلي بها . وقد ورد عن الإمام عليه السلام
أنه قال : « كلّما ميّزتموه بأوهامكم » الحديث .^٥
وأما بيانهم على سبيل التفصيل فإنّهم فرق كثيرة لا يعلمهم إلّا الله وهم أكثر الناس . قال

١ . البقرة (٢) : ٢٥٦ .

٢ . مجمع البحرين ، ج ٣ ، ص ٥٠ ؛ لسان العرب ، ج ١٥ ، ص ٩ .

٣ . الفرقان (٢٥) : ٤٣ .

٤ . در مصادر روائى نياقتم .

٥ . البقرة (٢) : ١٦٥ .

٦ . إبراهيم (١٤) : ٣٥-٣٦ .

٧ . بحار الأنوار ، ج ٦٦ ، ص ٢٩٢ ؛ تفسير السلمى ، ج ٢ ، ص ٢٢٤ .

- تعالى -: ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾^١ وأشار إلى بعضهم في الدعاء لأهل الثغور وهو الدعاء السابع والعشرون بقوله ﷺ :

«اللهمّ واعممّ بذلك أعدائك في أقطار البلاد من الهند والروم والترك والخزر والحبش والنوبة والزنج والصقالبة والديالمة، وسائر أمم الشرك الذين تخفى أسمائهم وصفاتهم، وقد أحصيتهم بمعرفتك، وأشرفت عليهم بقدرتك»^٢.
قال في الشرح :

الهند جيل وأمة من الناس معروفة، أكثر الناس اختلافاً في الآراء والعقائد؛ منهم من يقول بالخالق دون النبيّ وهم البراهمة، ومنهم من يعبد الشمس، ومنهم من يعبد القمر، ومنهم من يعبد الأنهار الكبار، ومنهم من يعبد الأشجار العظام. والروم: قال الواحدي: جيل من ولد روم بن عيص بن إسحاق. وقيل: هم الذين تسميهم أهل هذه البلاد بالفرنجة، ومدينة رئاستهم روميّة. قال في القاموس: روميّة: بلد بالروم سوق الدجاج به فرسخ، وسوق البرّ ثلاثة فراسخ. انتهى،^٣ وأكثرهم نصارى. والترك: جيل من أولاد يافث بن نوح، بلادهم بالإقليم الثالث، أولها من وراء نهر جيحون، وتمتدّ بلادهم إلى أقاصي المشرق من حدود الصين. والخزر جيل من الترك والحبش جنس من السودان جلّهم نصارى، وكذا النوبة، والزنج صنّف منهم. قيل: جميع السودان من ولد كوش بن كنعان بن حام. قال جالينوس: الزنج خصّصوا بأمر عشرة: سواد اللون، ولفلة الشعر، وفطس الأنف، وغلظ الشفة، وتشقّق اليد والعقب، وتتن الرائحة، وكثرة الطرب، وقلة العقل، وأكل بعضهم بعضاً.

قال بعض الحكماء: سبب الطرب اعتدال دم القلب. وقيل: بل سببه طلوع سهيل عليهم كل ليلة. والصقالبة قوم بلادهم بين بلغر وقسطنطينية. وقال بعضهم: روم وصقلب وأرمن وفرنجة كانوا إخوة، وهم بنو النبطي بن كسلو اجيم بن يونان بن يافث بن نوح، سكن كل واحد منهم بقعة من الأرض، فسميت باسمه. والصقالبة، منهم على دين النصرانية اليعقوبية، ومنهم على دين النسطورية، ومنهم من لا دين له ويكون معطلاً،

١. سبأ (٣٤): ١٣.

٢. الصحيفة السجادية، دعاؤه ﷺ لأهل الثغور (٢٧).

٣. القاموس المحيط، ج ٤، ص ١٢٣.

ومنهم عبدة النيران . والديالمة : جيل من الناس مشهورون بالظلم .^١
وتفصيل اسماء بعض الفرق من الكفار على هذا الوجه الأولى : الصابئين ، وبعض قيل :
دينهم بين اليهود والمجوس ولا دين لهم . وقيل : يقرؤون الزبور . وقيل : يشبه النصراني و
قبلتهم في مهب الجنوب جبل يتوجهون إليه في نصف النهار . وقيل : هم على دين نوح عليه السلام .
وقيل : هم أهل دين أهل جزيرة من جزائر الموصل ويقولون لا إله إلا الله ولا يعتقدون بالرسول .
وقيل : هم طائفة من أهل الكتاب ، وجوز الفقهاء أخذ الجزية منهم .
الثانية : الزنادقة ، وهم لا يتمسكون بشريعة ويقولون بقدم العالم . وقيل : هم مانوية
المجوس أصحاب ماني النقاش إلى غير ذلك من الفرق المذكورة في دبستان المذاهب و
تذكرة الأئمة ومنهم أصحاب السامري الذي أخرج لهم عجلاً جسداً له خوار .

نور كسفي ينبغي بيان حقيقة النور وماهيته

اعلم أن أول ما يدرك بالباصرة أمران : اللون والنور ، وربما يشبه الفرق بينهما على
بعض الناس فنعقد الكلام في مقامين :

الأول : في بيان حقيقة اللون

ذكر في الأسفار :

أن بعض الناس إلى أن لا حقيقة للون أصلاً ، بل جميع الألوان من باب الخيالات كما
في قوس قزح والهالة وغيرهما ، فإنّ البياض إنّما يتخيّل من مخالطة الهواء للأجسام
الشفافة المتصغرة جداً لكثرة السطوح المتعكسة عنها النور بعضها من بعض كما في
الثلج ، فإنّه لا سبب هناك إلا مخالطة الهواء ونفوذ الضوء في أجزاء صغار جمادية
وكثرة انعكاساته وكما في زبد الماء والمسحوق من البلور والزجاج الصافي ، وأما السواد
فمن عدم غور الضوء في الجسم لكثافته واندماج أجزائه .
والحاصل أنّ البياض راجع إلى النور ، والسواد إلى الظلمة ، وباقي الألوان متخيّلة من
تفاوت اختلاط الشفيف بالهواء . وربما يسند السواد إلى الماء نظراً إلى أنّه يخرج الهواء
فلا يكمل نفوذ الضوء إلى السطوح ولأجل هذا يميل الثوب المبلول إلى السواد .
والمحققون على أنّها كميّات متحقّقة وإن كانت متخيّلة في بعض المواضع .^٢

١ . رياض السالكين ، ج ٤ ، ص ٢٢٢-٢٢٦ ، نقله ملخصاً .

٢ . الأسفار الأربعة ، ج ٤ ، ص ٨٥ .

وذكر ابن سينا أنه يمكن حصول البياض بغير الوجه المذكور بوجوه:
 منها: كما في البيض المسلوق فإنه يصير أشدّ بياضاً مع أن النار لم يحدث فيه تخلخلاً
 وهوائية، بل خرجت الهوائية عنه ولهذا صار أثقل .
 ومنها: اختلاف طرق التوجه من البياض إلى السواد، فيكون تارة من البياض إلى الغبرة،
 ثم العودية، ثم السواد، وتارة إلى الحمرة، ثم القتمة، ثم السواد، وتارة إلى الخضرة، ثم
 النيلية، ثم السواد، فيدلّ على اختلاف ما يتركب من الألوان وإلا لكان التوجه بطريق واحد .
 ومنها: انعكاس الحمرة والخضرة ونحوهما من الألوان، إذ لو لم يكن اختلافها إلا
 لاختلاط المشف بغيره لوجب أن لا ينعكس من الأحمر والأخضر وغيرهما إلا
 البياض؛ لأنّ السواد لا ينعكس بحكم التجربة كذا أفاده في الشفاء .^١
 ومنهم: من نفى البياض وأثبت السواد تمسكاً بأنّ البياض ينسلخ والسواد لا ينسلخ . ودفع
 بأنّ قولهم للأسود إنه غير قابل للبياض إن عنوانه على سبيل الاستحالة فغير صادق، إذ
 كذبهم الشيب بعد الشباب . وإن عنوانه على سبيل الانصبغ فسيبه أن الصبغ المسود له
 قوة قابضة فينفذ ويخالط بخلاف اللون المبيض . ونقل عن أصحاب الإكسير أنهم ينقلون
 نحاساً كثيراً برصاص مكلس وزرنيخ مصعد . وربما تمسكوا بأنّ مادة البياض تقبل الألوان
 ومادة السواد لا تقبلها، فدلّ على أنّ مادة البياض عارية عن اللون ودفع بأنه يجوز أن يكون
 الحقيقي مفارقاً والتخييلي لازماً لزوال سبب الأول ولزوم سبب الثاني [...]، ثم إن القائلين
 بكون السواد والبياض كقيمتين حقيقتين منهم من زعم أنّهما أصل بالألوان والبواقي
 بالتركيب، ومنهم من جعل الحمرة والصفرة والخضرة أيضاً من الأصول .^٢

المقام الثاني

[في بيان حقيقة النور]

اختلفوا في حقيقة النور؛ فذهب بعضهم إلى أنه عرض من الكيفيات المحسوسة، ومنهم
 من زعم أنه جوهر جسماني وعلى تقدير جسميته يكون خالياً عن الكيفيات الانفعالية
 كالطوبة واليبوسة والفعلية كالحرارة والبرودة . واشتهر بين القائلين أنه جسم أي النور أجسام
 صغار تنفصل عن المضيء وتتصل بالمستضيء . قال في الأسفار: وذلك ممتنع وعلله
 بأنّ الأجرام الكوكبية لا يحصل فيها الذبول والانتقاص وقد أبطلوا القول بجسميته بوجوه:

١ . راجع الشفا (قسم الطبيعيات)، كتاب النفس، المقالة الثالثة في الإبصار، ص ٧٩، طبع المرعشي، قم، وطبع القديم، ص ٣٠٨ .
 ٢ . الأسفار الأربعة، ج ٤، ص ٨٨-٨٥، ذكر ملخصاً .

منها: أن السواد إذا دخل الكوة ثم سدناها دفعة فتلك الأجزاء النورية إما أن يبقى في البيت أو يخرج أو يندم، والخروج محال؛ لأن السد كان سبب الانقطاع فلا بد أن يكون سابقاً وكذا الأول لعدم كون البيت مستنيراً كما كان قبل السد وكذا الثالث لأنه يلزم عليه أن يكون تخلل جسم بين جسمين موجباً لانعدام أحدهما.

ومنها: أن الشمس إذا طلعت من الأفق يستنير وجه الأرض كله دفعة ومن البعيد أن ينتقل تلك الأجزاء من الفلك الرابع إلى وجه الأرض في تلك اللحظة لا سيما والخرق ممتنع على الأفلاك.

واعلم أن النور غني عن التعريف كسائر المحسوسات وتعريفه بأنه كيفية هي كمال أول للشقاف من حيث أنه شفاف، أو بأنه كيفية لا يتوقف الإبصار بها على الإبصار بشيء آخر تعريف بالأخفى^١.

والقائلون بأنه كيفية كالمحقق الطوسي - رحمه الله - في التجريد^٢ اختلفوا فمنهم من ذهب إلى أنه عبارة عن ظهور اللون فقط وقالوا: إن الظهور المطلق هو الضوء والخفاء المطلق هو الظلمة والمتوسط هو الظل ويختلف مراتبه بمراتب القرب والبعد من الطرفين والألفة بالخفى الموجب لضعف الحس ولذا يزول لمعان السراج عند ظهور القمر وكذا القمر بالنسبة إلى الشمس وهكذا.

وقيل: إن النور كيفية زائدة على اللون لا نفس الظهور، واستدل على الأول بوجوه: منها: أن اللون بوجهه بدون الضوء وبدون النور كالماء والبلور إذا وقع عليهما الضوء. ومنها: أن الجسم الأحمر مثلاً المضيء إذا انعكس منه إلى مقابله فتارة ينعكس الضوء منه إلى جسم آخر وتارة ينعكس الضوء واللون معاً، ويفرق بين النور والضوء بذاتيته الثاني و عرضيته الأول كما أشير إليه في قوله - تعالى -: ﴿هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً﴾^٣ واعلم أن الألوان غير موجودة بالفعل في حال كونها مظلمة عند الشيخ وأتباعه. وربما يظن أن الظلمة من شرائط رؤية بعض الأجسام كالأشياء التي تلمع بالليل كالكوكب والدودة المعروفة ونفى الشيخ الرئيس ذلك^٤.

١. راجع نفس المصدر، ص ٨٩-٩١، فإن المنصف اقتبس أصول المطالب من الأسفار ونقل بعض عباراته ملخصاً.

٢. راجع كشف المراد في تجريد الاعتقاد، ص ٢١٨، تحقيق الأستاذ حسن زاده الأملي.

٣. يونس (١٠): ٥.

٤. راجع الأسفار الأربعة، ج ٤، ص ٩١-٩٧، لأنه اقتباس منه؛ وراجع أيضاً الشفاء (قسم الطبيعيات) كتاب النفس، المقالة الثالثة في الإبصار، ص ٧٩ وما بعدها.

تكميل

بعضهم ذكر في تفسير النور أنه الظاهر بنفسه المظهر لغيره^١ نظير ما يقال: إن الوجود موجود بنفسه موجد لغيره، والماء رطب بنفسه مرطب لغيره، والدهن دسم بنفسه مدسم لغيره، وكذا ما يقال: إن الماء طاهر بنفسه مطهر لغيره. وهذا يشمل الأنوار الظاهرية والأنوار الباطنية التي لا تدرك لأحد إلا بآثاره كما أن الوجود لا يدرك بالحس بل لا يحكم بوجود شيء إلا بظهور آثاره، وهذا كما في النور الظاهر في جباه أهل الله، فإنه لا يرى نور ظاهر كما في السراج والشمس والقمر إلا إذا عرض الخيرات الباطنية التي هي فيهم المقتضية لإنارتهم في معرض الظهور بمنزلة تجسم الأعمال في القيامة، فيظهر النور في الظاهر كما قال -تعالى-: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾^٢ نظير الظلمة في المجرم كما قال -تعالى-: ﴿يَعْرِفُ الْمَجْرُمُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾^٣، وهذا هو النور الذي في القيامة للمؤمنين كما قال -تعالى- في سورة الحديد: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾^٤ وفي التحريم: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾^٥.

[و في رياض السالكين]:

واختلف في حقيقة هذا النور، فقال قتادة: يريد بالنور الضياء الذي يرونه ويمرون فيه. وقال الضحاك: نورهم هداهم. وعن ابن مسعود مرفوعاً أن كل إنسان يحصل له نور يوم القيامة على قدر ثوابه، فمنهم من يضيء له نور كما بين عدن إلى صنعاء، ومنهم من نوره مثل الجبل، ومنهم من لا يضيء له نور إلا موضع قدميه وأدانهم نوراً من يكون نوره على إبهامه ينظفي مرة ويتقد أخرى...

وقال المحققون: إن الكمالات والخيرات كلها أنوار، وأكمل الأنوار معرفة الله سبحانه. وعن أبي جعفر عليه السلام: «من كان له نور يومئذ نجا، وكل مؤمن له نور»^٥ حيث

١. نفس المصدر (الأسفار)، ص ٨٨.
٢. الفتح (٤٨): ٢٩.
٣. الحديد (٥٧): ١٢.
٤. التحريم (٦٦): ٨.
٥. بحار الأنوار، ج ٦٤، ص ٥٧، وكذا الخبر التالي.

قال أبو عبد الله عليه السلام: كما في رواية ثقة الإسلام في قوله - تعالى - : ﴿ نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم ﴾ . قال : « أئمة المؤمنين يوم القيامة تسعى بين يدي المؤمنين وبأيمانهم حتى ينزلوهم منازل أهل الجنة » .^١

أقول : وهذا مقتضى متابعة كل مأموم إمامه . قال - تعالى - : ﴿ يوم ندعو كل أناس بإمامهم فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرءون كتابهم ولا يظلمون فتيلاً ومن كان في هذه أعمى ﴾ الآية ، أفرتفع في القيامة رايات لأئمة الإيمان وأئمة الكفر . قال الحميري في قصيدته :

والناس يوم الحشر راياتهم
خمس فمنها هالك أربع^٢

إلى آخر ما قال . ولكن تابعي رايات الكفر مع أئمتهم كل في التأسف والندامة كما قال - تعالى - : ﴿ وما يؤذ الذين كفروا لو كانوا مسلمين ﴾ ، بل كلهم يروون من الآخرين ، الإمام من المأموم والمأموم من الإمام كما قال - تعالى - في حق فلان وفلان : ﴿ ويوم يعرض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً ﴾ يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً ﴾ لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولاً^٣ .
القمي : الظالم الأول وفلان الثاني .^٤

وفي حديث أمير المؤمنين عليه السلام المروي في الكافي : « ويتبرأ كل واحد منهما من صاحبه يقول لقرينه إذا التقيا : يا ليت بيني وبينك بعد المشركين فبئس القرين ، فيجيبه الأشقي على رثوة^٥ يا ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً » الحديث .^٦

وكل أئمة الكفر ينكرون في القيامة ادعاء الإمامة قال - تعالى - : ﴿ ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول ء أنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلّوا السبيل ﴾ ، وهي في سورة الفرقان بل رئيس أئمة الكفر وهو إبليس يتبرأ عن تابعيه قال - تعالى - في سورة الحشر :

١ . رياض المساكين ، ج ٧ ، ص ٩٧ ، طبع النشر الإسلامي ، قم ؛ والخبر الأخير في الكافي ، ج ١ ، ص ١٩٥ ، ح ٥ ؛ و تفسير القمي ، ج ٢ ، ص ٣٧٨ ، والآية في سورة التحريم (٦٦) : ٨ .
٢ . الاسراء (١٧) : ٧١-٧٢ .
٣ . شرح العينية الحميرية للفاضل الهندي ، ص ٤٩٠ ، طبع الأول ، ١٤٢١ ق ، مكتبة التوحيد ، قم .
٤ . الحجر (١٥) : ٢ .
٥ . الفرقان (٢٥) : ٢٧-٢٩ .
٦ . تفسير القمي ، ج ٢ ، ص ١١٣ .
٧ . الرثاءة : البذاذة .
٨ . الكافي ، ج ٨ ، ص ٢٧ ، اقتباس من الآية .
٩ . الفرقان (٢٥) : ١٧ .

﴿كَمَثَل الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ الآية^١، وقال - تعالى - في سورة إبراهيم: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ﴾ الآية^٢. وفي العياشي والقمي عن الباقر كلما كان في القرآن «وقال الشيطان» يريد به الثاني، فطوبى لمن كان تحت لواء الحمد عند منبر الوسيلة محسوباً من تابعي رسول الله ﷺ و أمير المؤمنين ﷺ^٣

روى الصدوق - رحمه الله - في الأمالي باسناده عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: إذا سألت الله - عز وجل - فاسألوا لي الوسيلة. فسألت النبي ﷺ عن الوسيلة، فقال: هي درجتي في الجنة، وهي ألف مرقة، ما بين المرقاة إلى المرقاة حضر الفرس الجواد شهراً، وهي ما بين مرقاة جوهر إلى مرقاة زبرجدو مرقاة ياقوت إلى مرقاة ذهب إلى مرقاة فضة، فيؤتي بها يوم القيامة حتى تنصب مع درجة النبي، فهي في درج النبي كالقمر بين الكواكب، فلا يبقى يومئذ نبي ولا صديق ولا شهيداً إلا قال: طوبى لمن كانت لهذه الدرجة درجته، فيأتي النداء من عند الله - عز وجل - يسمع النبيين وجميع الخلق: هذه درجة محمد ﷺ. فأقبل وأنا يومئذ متزراً بريطة من نور على تاج الملك وإكليل الكرامة. وعلي بن أبي طالب أمامي، ويده لوائي وهو لواء الحمد، مكتوب عليه «لا إله إلا الله المفلحون هم الفائزون بالله». وإذا مررنا بالنبيين قالوا: هذان ملكان مقربان لم نعرفهما ولم نرهما، وإذا مررنا بالملائكة قالوا: هذان نبيان مرسلان حتى أعلو الدرجة وعلي يتبعني حتى إذا صرت إلى أعلى درجة منها، وعلي أسفل مني بدرجة، فلا يبقى يومئذ نبي ولا صديق ولا شهيد إلا قال: طوبى لهذين العبدین ما أكرمهما على الله، فيأتي النداء من قبل الله - جل جلاله - يسمع النبيين والصديقين والشهداء والمؤمنين: هذا حبيبي محمد ﷺ، وهذا وليي علي، طوبى لمن أحبه، وويل لمن أبغضه وكذب عليه. ثم قال رسول الله ﷺ لعلي: لا يبقى يومئذ أحد

١. الحشر (٥٩): ١٦.

٢. إبراهيم (١٤): ٢٢.

٣. تفسير العياشي، ج ٢، ص ٢٢٣، ح ٨؛ و تفسير القمي، ج ١، ص ٣٦٨؛ وقال الفيض - رحمه الله -:

لعل المراد بأسماء الرجال الملقبة بأعلامهم وبالأسم الواحد ما كتى به تارة عنهم وتارة عن غيرهم من الألفاظ التي لها معان متعددة وذلك كالذكر فإنه قد يراد به رسول الله ﷺ، وقد يراد به أمير المؤمنين ﷺ، وقد يراد به القرآن، وكالشيطان فإنه قد يراد به الثاني، وقد يراد به إبليس، وقد يراد به غيرهما. [حاشية تفسير الصافي، ج ١، ص ٣٧]

٤. الريغة: كل ثوب لين رقيق.

أحبك إلا استروح إلى هذا الكلام، وبيض وجهه، وفرح قلبه، ولا يبقى أحد ممن عاداك ونصب لك حرباً أو جحد لك حقاً إلا أسود وجهه واضطربت قدماه. فبينما أنا كذلك إذا ملكان قد أقبلا إليّ، أمّا أحدهما فرضوان خازن الجنة، وأمّا الآخر فمالك خازن النار، فيدنو رضوان فيقول: السلام عليك يا أحمد. فأقول: عليك السلام أيها الملك، من أنت؟ فما أحسن وجهك وأطيب ريحك، فيقول: أنا رضوان خازن الجنة، وهذه مفاتيح الجنة بعث بها إليك ربّ العزة، فخذها يا أحمد. فأقول: قد قبلت ذلك من ربّي، فله الحمد على ما فضلني به، ادفعها إلى أخي عليّ بن أبي طالب، ثم يرجع رضوان، فيدنو مالك فيقول: السلام عليك يا أحمد. فأقول: السلام عليك أيها الملك من أنت؟ فما أقبح وجهك وأنكر رؤيتك، فيقول: أنا مالك خازن النار، وهذه مقاليد النار، بعث بها إليك ربّ العزة فخذها يا أحمد. فأقول: قد قبلت ذلك من ربّي، فله الحمد على ما فضلني ادفعها إلى أخي عليّ بن أبي طالب، ثم يرجع مالك فيقبل عليّ عليه السلام ومعه مفاتيح الجنة ومقاليد النار حتى يقف على عجرة جهنّم وقد تطاير شررها، وعلا زفيرها، واشتد حرّها، وعليّ أخذ بزمامها، فتقول له جهنّم: جزني يا عليّ، فقد أطفأ نورك لهبي. فيقول لها عليّ: قري يا جهنّم وخذي هذا وتركي هذا، خذي هذا عدوي واتركي هذا وليّ، فليجهنّم يومئذٍ أشدّ مطاوعة لعليّ عليه السلام من غلام أحدكم لصاحبه، فإن شاء يذهبها يمنة، وإن شاء يذهبها يسرة ولجهنّم يومئذٍ أشدّ مطاوعة لعليّ فيما يأمرها به من جميع الخلائق»^١.

اللهم ارزقنا شفاعته يا ربّ العالمين يوم الشور.

وفي حديث الرضا عليه السلام: «من أحبّ حجراً حشره الله معه يوم القيامة»^٢.

١. الأمل للصدوق، ص ١٧٩، ح ١٨٠/٤، المجلس الرابع والعشرون؛ روضة الواعظين، ص ١١٣، مجلس ذكر فضائل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب - صلوات الله عليه -؛ تفسير القميّ، ج ٢، ص ٣٢٤-٣٢٦.
٢. وما عثرنا عليه في البحار والأمل للصدوق وعيون أخبار الرضا هكذا: «لو أنّ رجلاً تولّى حجراً حشره الله - تعالى - معه». [الأمل للصدوق، ص ١٩٣؛ عيون أخبار الرضا (ع)، ج ١، ص ٢٩٩؛ ح ٥٨؛ إقبال الأعمال، ج ٣، ص ٣٠؛ بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٢٨٦، ح ٢٣ نقلًا عن عيون أخبار الرضا]

مقالة جديدة

قد مرّ ممّا بيّنا أنّ النور هو من المبصرات فلا يصحّ كون الله - تعالى - نوراً بهذا المعنى ، فيجب التأويل وهكذا في كلّ ما لم يمكن حمله على ظاهره كقوله - تعالى - : ﴿الرحمن على العرش استوى﴾^١ وأمثاله ، فلا ينبغي الجمود على الظواهر كأهل السنّة سيّما الحنابلة منهم ولا الجمود على التأويل كما هو شعار بعض الحكماء ، فللعقل في بعض الأشياء حكم دون بعض ، وكلّ ما حكم به العقل حكم به الشرع . وقد بيّن في الأسفار أنّ المعنى الحقيقي للظهور هو الظاهر بنفسه المظهر لغيره وهو بهذا المعنى يطلق على الواجب بل هو بالحقيقة مساوق للوجود ومن جملة أسمائه - تعالى - اسم النور . ولا شك أنّ الله - تعالى - ظاهر بنفسه بل هو أظهر الأشياء وإن كان في ظهوره خفياً هو الأوّل والآخر والظاهر والباطن وظهوره عين بطونه وبطونه عين ظهوره وهو المظهر لغيره .

